الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط

موسومة بـــ:

عبد الكريم المغيلي وأثره في هدم الكيان اليهودي

في توات (790-909 هـ/1425-1504 م)

إعداد الطالبتين:

- مهني فاطمة الزهرة
- بستاني عائشة

إشراف: الأستاذ الدكتور

بلقاسم بن عودة

لجنـــــة المناقشـة

د. لكحـــل فيصـــل	رئيـــــــــسا
د. بلقاسم بن عـودة	مشرفا ومقررا
د. بلقنيشي عـــــلي	عضـــــــــوا

الموسم الجامعي:

(1440- 1441هـ) الموافق لـ (2019- 2020م)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ
صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

شكر وتقدير

في البداية الشكر والحمد لله جل في علاه فإليه ينتسب الفضل كله

وبعد الحمد لله فإني أتوجه إلى أستاذي بلقاسم بن عودة المشرف على الرسالة بالشكر والتقدير الذي لن تفيه أي كلمات في حقه فلولا دعمه ما تم هذا العمل

كما نتوجه بالشكر إلى كل من ساعدنا على إتمام هذا العمل ولكل الأساتذة في الكلية

الإهداء

الى الذي كان له الفضل في نجاحي وكان سندي في مشواري

الدراسي .... والدي الحبيب أطال الله عمره

الى التي جعل الجنة تحت قدميها وسهرت على من أجل تربيتي

رمز المحبة والحنان .... أمي العزيزة حفظها الله

إلى إخوتي الأعزاء وأحبائي وأصدقائي

وكل من تحمل معي مشقة هذا العمل

فاطمة الزهرة مهني

إلى أحلى كلمتين يرددهما لساني

إلى أجمل كائنين عرفتهما عيوني

إلى والدي الكريمين تاج رأسي حفظهما الله

إلى من اسمهم غالي وصورهم لا تفارق خيالي

إلى من قاسمتني هذا العمل

إلى زوجي رفيق دربي الذي أعانني كثيرا

إلى اللواتي عشت معهم أجمل ذكريات حياتي

اهدي ثمرة جهدي

عائشة يستاني

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
تح	تحقيق
تق	تقديم
تر	ترجمة
ع	عدد
د.ط	دون طبعة
د.ط.ت	دون طبعة دون تاريخ
ت	توفي
م	ميلادي
ه	هجري
/	الموافق
-	من إلى

مقدمة

ظهرت ببلاد المغرب الإسلامي حركة علميـــة وثقافيـــة خـــلال القـــرنين (8 و9ه/ 14و15م)وانتشرت العديد من الحواضر العلمية بمختلف أقطار البلاد مما برز مجموعة من العلماء والفقهاء. ومن بين هؤلاء الأعلام: " **الشيخ محمد بن عبد الكـــريم المغيلـــي التلمساني**".

كانت حياة المغيلي مليئة بالكد والنشاط والغيرة على واقع الإسلام والمسلمين فـــي العـــالم وامتد صداه داخل وخارج حدود وطنه عربيا وإفريقيا، حيث اشتهر بنشـــاطه الإســـلامي المجدد كما اشتهر أيضا بنبذه لليهود الذين تمردوا على أحكام الشريعة فانكب على نشـــر العقيدة الإسلامية القائمة على الكتاب والسنة كما ذاع صيته في كامل الصحراء وخصوصا في منطقة توات ويعتبر الإقليم من الأقاليم الضاربة في الصحراء الكبرى. فمنذ تاريخهـــا المبكر كان منارا للعلم والعلماء أي أنها من بناء وإنشاء المسلمون وقد دخلها الإسلام فـــي منتصف القرن 9ه/15م.

وقد كان إقليم توات مستقرا للعديد من العناصر البشرية فقد استقر فيها البربـــر والعـــرب والزنوج وبعض الأقاليم الإثنية كاليهود، فقد وجدوا قبل دخول الإسلام إليها واســـتوطنوا البلاد عبر عدة هجرات تاريخية. وقد بنو حصونا في واحات توات حتى بدأ إقليم تـــوات مملكة يهودية لهم وليست أرضا إسلامية، فاعتبر الإمام المغيلي ذلك تطاولا على كرامـــة المسلمين الدينية وكان رد فعله ضد الاستعلاء اليهودي ومحاربته لهم.

فالموضوع الذي بين أيدينا يتحدث عن شخصية الإمام عبد الكريم المغيلي وآثره في هـــدم الكيان اليهودي في توات.

والإشكالية الرئيسية التي سنعالجها من خلال هذا الموضوع هي:

ما هي أهم الأسباب التي أدت بالإمام المغيلي لمحاربة اليهود في توات؟ وهل كان لدعوته الجهادية آثر على يهود توات؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية منها:

_أين نشأ الإمام المغيلي وماهي أهم انجازاته ومؤلفاته؟

_هل كان لتعدد مشارب أجناس توات آثر على الأوضاع العامة لتوات؟

_ما هي الأسباب والدوافع التي أدت بالمغيلي إلى توات؟

_ما مدى نجاح الإمام المغيلي في حركته الإصلاحية؟ وهل كان لها صدى على المجتمع التواتي؟

_لماذا أثار الإمام المغيلي على يهود توات؟ وما هي المسائل الخلافية التي بنيت عليها نازلة اليهود؟

_كيف كانت دعوته الجهادية في طرد اليهود؟ وهل وفق في طرد اليهود؟

فموضوعنا ذو أهمية كبيرة لأن حياة الإمام المغيلي كانت حافلة بدعوة إلى الإصلاح والجهاد لهذا لقيت هذه الشخصية اهتمام كبير من قبل الباحثين.

ولقد دفعتنا أسباب لاختيار الموضوع:

- أهمية هذه الشخصية التي يجهلها أغلب الطلبة.
- الدور الذي أداه الشيخ المغيلي في خدمته للدين الإسلامي.
- إلى أي مدى أثر فكر المغيلي وأعماله وجهوده على المجتمع التواتي.
- صدى حركته الجهادية على المنطقة والناطق المجاورة على اعتبار أن مداها فاق

حدود منطقته الجغرافية

أما المنهج المتبع التاريخي التحليلي الذي يتسم بالدقة والموضوعية وسرد الأحداث إضافة إلى المنهج الاستقرائي.

ولمعالجة هذه الدراسة اتبعنا خطة مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة جاءت على النحو التالي:

عنونا **المدخل** ب:**الأوضاع العامة لتوات قبل دخول عبد الكريم المغيلي**،واندرج ضمنه عناصر تمثلت في: نبذة عن تاريخ توات والأوضاع العامة له (السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية).

والفصل الأولو سمناه ب:**حياةالخاصة بعبد الكريم المغيلي** وانقسم إلى ثلاثة مباحث تناولنا في المبحث الأول مولده ونشأته وتلاميذه ومؤلفاته والمبحث الثاني تناولنا فيه عن توات ومناخها وموقعها الجغرافي وفي المبحث الثالث أوضاع إقليم توات.

أما **الفصل الثاني** عنوناه ب:**الدور الإصلاحي للإمام المغيلي في توات** وقد قسم إلى مبحثين الأول بعنوان عبد الكريم المغيلي في توات و المبحث الثاني تناول الدور الإصلاحي للمغيلي.

والفصل الثالث بعنوان **المغيلي وتصديه لليهود في توات** وانقسم الى ثلاث مباحث جاء المبحث الأول اليهود في توات والمبحث الثاني نازلة اليهود والمبحث الثالث ثورات المغيلي ونتائجها. وختمنا بحثنا بخاتمة سجلنا فيها استنتاجات عامة للموضوع.

اعتمدنا في هذه الدراسة عل العديد من المصادر والمراجع المتنوعة أهمها:

_**مصباح الأرواح في أصول الفلاح** لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي أفادنا في أوضاع اليهود في توات.

_**البستان في ذكر علماء وأولياء تلمسان** لابن مريم وكتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي الذي أفادانا في ترجمة العديد من العلماء وذكر بعض الأحداث التاريخية في المنطقة.

_**المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب** لأحمد بن يحي الونشريسي الذي أفادنا في نازلة يهود توات وردود فعل العلماء.

_**وصف إفريقيا لحسن الوزان** الذي أفادنا في الخلفية الجغرافيا والديمغرافية للمنطقة.

أما بالنسبة للمراجع نذكر منها:

_**الإمام المغيلي وتصديه للخطر اليهودي** لعبد الله حمادي الإدريسي أفادنا في تفصيل شخصية المغيلي والدور الذي قام به.

_**الفكر الإسلامي والدعوي للإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني** لخير الدين شترة الذي أفادنا في معرفة الدور الإصلاحي للإمام المغيلي ومنهجه الدعوي للتصدي للخطر اليهودي.

_**إقليم توات خلال القرنين 18_19م** لفرج محمود فرج الذي أفادنا في جوانب إقليم توات.

أما من خلال الرسائل والمقالات نذكر منها:

_**الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 10/8هـ** لسالمي زينب رسالة ماجستير أفادنا في دور نازلة يهود توات.

_**المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل بعثها الملوك والأمراء والعلماء** لنور الدين حاج احمد أفادنا في معرفة الدور الجهادي والفكر الإصلاحي.

_**دور محمد بن عبد الكريم المغيلي في مقاومة يهود توات** لعبد القادر مليق أفادنا في مقاومة المغيلي لليهود.

وقد واجهتنا عدة صعوبات خلال إنجازنا لهذا البحث منها:

- صعوبة الحصول على المصادر ونقص المادة العليمة قبل ق 9ه/15م.
- افتقار مكتبة الجامعة للمصادر والمراجع التي تخص الموضوع.
- صعوبة الحصول على المخطوطات وصعوبة قراءتها لنقص الاطلاع عليها.
- صعوبة التواصل بين أعضاء البحث بسبب الوباء.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد قدمنا بعض ما جاد به هذا العالم الجليل الذي نفتخر به الأمة الإسلامية عامة والجزائرية خاصة وإن كنا نعتقد أننا لن نوفه قدره ولو اجتهدنا نظرا للجوانب الكثيرة التي تميز بها أملين أن نكون فد وفقنا في إثراء المكتبة بهذا البحث المتواضع كما نتوجه بعميق الشكر للأستاذ المشرف على توجيهاته القيمة والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الطالبتان

مهني فاطمة الزهراء بستاني عائشة

....

مدخل

أوضاع توات قبل دخول عبد الكريم المغيلي

01 - نبذة تاريخية عن إقليم توات:

02 - الأوضاع العامة لإقليم توات: النشاط السياسي

- **النشاط الاقتصادي**
- **جانب الزراعي**
- **جانب صناعي**
- **جانب تجاري**
- **النشاط الاجتماعي**
- **النشاط الثقافي**

أوضاع توات قبل دخول عبد الكريم المغيلي :

البحث في تاريخ توات يحتاج الكثير من الصبر وهذا لندرة المصادر و الدراسات المتخصصة في تاريخ المنطقة، وخاصة للبحث في التراث المعنوي الذي يجد الدارس نفسه ينطق من الروايات الشفوية التي يعودها الدقة و التوثيق كمصدر رئيسي في دراسته، وما يمكن أن نجده هو جمل متناثرة في كتب الرحالة الذين كانت ارض توات محط رحلتهم للأيام قليلة لم تمكنهم من التعرف على سكان المنطقة أو طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وهذا قبل القرن التاسع هجري والخامس عشر ميلادي[1]ـ وحسب الكثير من الباحثين فإن أول ذكر لاسم توات على لسان الرحالة ابن بطوطة[2] في القرن 8ه/14م، وقيل هذا التاريخ كانت المنطقة توصف بأوصاف تعميمية داخل الصحراء الشاسعة كوصفها للصحراء القبلية مثلا لذلك نجد فترة طويلة من تاريخ المنطقة يسودها الغموض[3].

01 - نبذة تاريخية عن إقليم توات:

اختلف المؤرخين حول أصل التسمية واختلفوا حول تاريخها و بداية عهدها، ومن خلال الآثار وشواهد الإنسان التي عثر عليها في المنطقة من أدوات حجرية ووسائل بدائية ومغارات وهياكل عظمية المتواجدة بكثرة في المتاحف خاصة في **انجرارين**

[1]_ عبد الله حرمه، المصطلحات الأدبية والاقتصادية ومفهومها الحضاري في إقليم توات، مذكرة ماستر، دراسات الأدبية و الحضارة الإسلامية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017/2016، ص7.

[2]_ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله اللواتي، ولد بطنجة سنة 1304م قضى 28سنة يتجول في الآفاق شرقا و غربا، قطع مسافة لم يقطعها رحالة في القرون العصور الوسطى قام بعدة رحلات منها رحلة إلى البقاع المقدسة، بلاد السودان، توفي في فاس سنة1377م ــ انظر: احمد أمينوآخرون موسوعة العربية الميسرة، ، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس، ط2، 2001، ص15.

[3] _ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار، دار صادر، بيروت، ط1، 2001، ص 406.

وتيدكلت[1]، يمكن القول أن الإنسان الأول عاش في المنطقة ابتداء من العصور الحجرية القديمة كما تشير الدراسات و الأبحاث التي قام بها الباحثون أن الرومان كانوا يستعملون طريق توات في مرورهم إلى السودان و أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان منذ القرن السادس قبل الميلاد بينما يرى برند صفرون أن اليهود وصل والى المنطقة سنة 50 ق م وأسسوا مجموعة من القصور منها تخفيفيت سنة 5م وأولاد همال سنة517م و وصل عدد قصورهم حوالي ثلاث مئة قصرا[2]، و يرى البعض أن دورهم تعدى النفوذ إلى ابعد من ذلك حيث انه حكموا في الواحات الصحراوية أقاموا دولة لهم، غير أن ابن خلدون يرى أن البربر هم أول من سكنوا توات قبل مجيء الإسلام و بنو أول قصر لهم بتمنطيط، كما تذكر المصادر انه وجد في تمنطيط عند أولاد ميمون محراب يحمل 106ه/725م، ووجدت كتابات في مسجد آخر، عند أولاد همال تشير أن قصورهم بنيت سنة 517م[3]، مما يدل على أن عمارة المدينة كانت قبل ذلك بقرون، غير أن التوافد الحقيقي على الإقليم بدا بعد سقوط دولة الأدارسة بالمغرب في القرن الرابع هجري، وفروا الكثير من السكان بعدما أنهكتهم الحروب جنوبا لجهة الشرق إلىأن وصلوا إلىإقليم توات، فاستأنسوا المكان وأعجبوا به وعمدوا إلى حافة واد مسعود وبنوا قصورهم **وج، ودرار،تربز، زرزم، امغر، مكرة، غرمياتو، تيط، الشارف، بوحفص**[4]،وبعد قيام المرابطين في القرن الخامس، واضطهادهم لقبائل زناته في الكثير منهم إلى توات بحثاعن الأمن والاستقرار، واستمر توافدهم بعد اضطهاد الموحدين لهم ومن القبائل الوافدة أولاد بن عبد الجليل، أولاد

[1]_عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2001، ص134.

[2]_مبارك بن صافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربيخلال القرن 12، دار السبيل للنشر و التوزيع، ط1، 2009، ص70.

[3]_ ابن خلدون، المصدر نفسه، ص135.

[4]_نفسه،ص 136.

عياش،أولاد خير الله،أولادحسين،وتبعتها هجرات القبائل عربية في أزمنة مختلفة مثل أولاد ملوك،**الخنافسة**[1]، أولاد غانم و غيرها من عرب المعاقل[2] مثل أولاد الحاج، أولاد عابد، وبعد استقرار هاته القبائل في الإقليم تنافسوا وتقاتلوا على الزعامة والرئاسة واشتعلت بينهم حروب ونزاعات واستعان بعضهم على بعض وانقسموا إلى طائفتين متصارعتين (احمد وسفيان)[3]، وقيل: "وأعجب منه يجتمع الشخصان أحدهما مع الأخر فإذا اخبره انه من فئة سفيان كرهه أشد الكراهية حيث كان هو من فئة احمد".

وكذلك تعرض للغزو المريني عام 715ه/1315م على يد الأمير أبي علي عمر بن عثمان[4] الذي سيطر على توات ودخل تمنطيط، بعد أنبنى دولة في سجلماسة جنوب المغرب، نتيجة لخلافه على الملك مع أبيه أبي سعيد عثمان بن يعقوب[5]، وفي عام

---

[1]_الخنافسة: ينتشرون في المنطقة الممتدة مابينآقروت وكبرتن ويتوجدون بضبط بقصر تيلكوزة. انظر: حوتية محمد، المواقع الجغرافي والأهمية التاريخية، محاضرة، ص14.

[2]_عرب المعاقل: هم العرب بنو المعقل دخلوا المغرب مع الهلاليين و هم ثلاثة بطون (ذوي عبد الله، ذوي منصور، ذوي الحسان) جاوروا زناتة و استوطنوا الصحراء التي كان لهم اثر كبير بها. انظر: احمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دولة المغرب الأقصى، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1955، ص159.

[3]_احمد وسفيان: قيل أن احمد وسفيان قد جاءت من الصراع بين احمد وهو الرسول صل الله عليه و سلم، وبين أبو سفيان قبل إسلامه، وقيل أنها جاءت من الصراع بين علي و معاوية، وهناك من يرى أنها بين قبيلتين بربريتين هما احمد وسفيان وتم تحريف الاسم الأول إلى احمد. انظر: عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الغرب، الجزائر، ط2، 2007، ص45.

[4]-الأمير أبي علي بن عمر بن عثمان: اصغر ولدي السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني، أمه من بني الفرنج كان اقرب الناس إلى قلب أبيه بلغ عنده مكانة عظيمة رشحه للولاية العهد و هو صغير، غزى قصور توات سنة 734ه/1334م بعد أن خرج على أخيهأبي الحسن. انظر: احمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاضة حقق الفوائد (موسوعة أعلام المغرب) ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص621.

[5]-أبي سعيد عثمان بن يعقوب: هو أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني، تولى الخلافة بعد ابن أخيهأبو الربيع سليمان عرف بالجود و العلم، هاجم تلمسان 714ه/1314م دامت خلافته 21سنة. انظر: احمد بن القاضي، لقط الفرائد من لفاضة حقق الفوائد (موسوعة أعلام الغرب)، المصدر نفسه، ص614.

986ه/1578م هاجمته بعض قبائل تافيلالت فاستعان السكان بحاكم الجزائر العثماني[1]، فأرسل الأخير جنوده في العام التالي إلى المنطقة في حملة استطلاعية لمساعدة الأهالي لصد العدوان غير أن طموح السعديين كان أقوى واقرب، وكانوا يتربصون للسيطرة على الإقليم خاصة في عصر النصور الذهبي[2]، كان يريد تكوين مملكة عظيمة تمتد من المغرب إلى السودان الغربي للسيطرة على مناجم الملح و الذهب، يقول الرفراني" لما استقر المنصور... وامن مقاتليه طمحت نفسه إلى التغلب على بلاد توات **و تيكرارين**[3].

وقد وقعت معارك طاحنة استمرت عدة أيام انتهت بهزيمة التواتيين ومقتل عدد كبير منهم، وارتكب جيوش المنصور مجازر كبيرة في حق السكان و خربوا ممتلكاتهم، غير أن الأتراك لم يتخلوا نهائيا عن الإقليم فقد زار باي طرابلس إقليم توات و معه عشرة من العلماء وبقوا هناك سنة كاملة وبعد تفهقه السعديين بقى الإقليم على مد و جزر[4]، وحاول الملوك العلويين في المغرب بصفة متكررة تتبع خطى السعديين في جعل الإقليم ضمن مناطق نفوذهم وأول الطامعين مولاي محمد بن الشريف العلوي[5] الذي قدم إلى توات بجيش كبير ودخل تمنطيط، وبعدها ظهر شخص يدعى عبد الله ادعى الإمامة واتبعهالكثير

---

[1]_الحاكم الجزائر العثماني: يفترض أن يكون البيلباي حسن فنزبانو الذي تولى حكم الجزائر أصلهايطالي اشتهر بالخزم و النشاط الحربي استدعى اليقود الأسطول العثماني. انظر: رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، دار الهدى، الجزائر، ط3، 2000، ص350.

[2]_منصور الذهبي: هو أبو العباس احمد المنصور ابن السلطان أبي عبد الله شيخ السعديين، ولد بفاس بويع بالخلافة. انظر: رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، المصدر نفسه، ص351.

[3]_عبد الكبير الفاسي، تذكرة المحسنين لوفيات الأعيان و حوادث السنين (موسوعة أعلام المغرب)، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ص1136.

[4]_عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعةالمغربية لأعلام البشرية والحضارية (معلمة الصحراء)، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المغرب، (د.ط)، 1976، ص26.

[5]_مولاي محمد بن الشريف العلوي: بويع في سجلماسة حاول السيطرة على فاس، لكنه لم يفلح قتل أثناء حروبه مع أخيه مولاي الرشيد على الملك. انظر: محمد الطيب القادري، نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني (موسوعة أعلام المغرب)، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ص1526.

من السكان فأرسل له القائد على الذي تمكن من هزيمته وأسره، وبدأ العلـــويين بتعيـــين موالين لهم في بعض مناطق الإقليم وبعد مقتل السلطان مولاي محمد بن شريف العلوي[1]، لجأ في العام التالي ابنه إلى توات وأقام بها سنة كاملة وبعدها ورد الأمير مولاي العباس ابن السطان مولاي إسماعيلإلى توات واستقر بها، وأعلن التمرد على ســـلطان المغـــرب مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل[2]، وأصبح له سلطان ومكانة في تـــوات لأكثـــر مـــن عشرين سنة، ولعل هذا مايفسر عائلات كثيرة من الأشراف سواء كانوا أدارسة أو علويين داخل توات، ولم يقتصر التدخل على ممالك المغرب بل امتد إلى العثمانيين في الجزائـــر، ورغم ذلك كانت بعض القبائل تدفع الضرائب للسلطة المركزية في الجزائر ولما تـــأخر البعض في دفعها أرسل صالح بن المصطفى[3] جنوده لمدينة عين صالح **بتادكلت** لتحصينها ومن ثم ملت المدينة اسمه(عين صالح) واستمر نفوذه لغاية القرن13ه/19م، ولم يكن على مماليك وسلاطين الشمال بل تعداه إلى مماليك الجنوب والدليل على ذلك دخـــول منطقـــة توات تحت نفوذ السلطان مملكة مالي[4]، ولم يكن نفوذ والتدخل حكرا على الدول بل تعداه إلى الطوائف حيث سيطروا اليهود على التجارة وكان لهم دخل في الحيـــاة الاقتصـــادية والاجتماعية، بفعل المال والدعاية واستمر ذلك لغاية انتفاضة الشيخ بـــن عبـــد الكـــريم

[1]_مولاي محمد بن الشريف العلوي: هو السلطان إسماعيل بن الشريف العلوي، بويع بعد وفاة أخيـــه وحكـــم 56ســـنة وسبعة اشتر. انظر: محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني (موســـوعة أعـــلام المغـــرب)، المصدر السابق، ص1996.

[2]_عبد الله بن إسماعيل: هو عبد الله بن إسماعيل ابن الشريف العلوي بويع بعد مقتل أخويه عبد الملك واحمـــد عـــرف عهده الكثير من الاضطرابات والمشاكل. انظر: محمد ابن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل الحـــادي عشـــر الثـــاني، المصدر السابق، ص2197.

[3]_صالح بن المصطفى: باي قسنطينة من اشتر البايات في الجزائر العثمانية عرف بحنكته السياسية وكثـــرة انجازاتـــه، أسس الجامع الحنفي والمدرسة الكتانية ثم اعدم. انظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافـــة، بيروت، (د.ط)، 1980، ص 278.

[4]_مبارك بن صافي الجعفري، المرجع السابق، ص83.

المغيلي عليهم 891ه/1486م[1]، كما كان لبعض الشخصيات تأثير ونفوذ مثل الشيخ السيد المختار الكنتي الذي كان في الأزواد[2].

02 - الأوضاع العامة لإقليم توات:

إن الحياة التاريخية خلال الفترات السابقة عرفت بتعقيداتها وكثرة عقد الحل والربط بها، وتميزت بتداخل النفوذ والمصالح مع غياب كيان سياسي واضح المعالم، وقد عرفت المنطقة فترات من السلم وأخرى من الحروب والنزاعات، إما من ناحية الجوانب العامة للإقليم فلم تتطرق جل الكتب التاريخية عن الأوضاع العامة للإقليم قبل القرن 15م.

- النشاط السياسي: ظهرت في العصور القديمة في إقليم توات النزعة القبلية في الحياة السكانية، وقد انعدمت السلطة الفعلية التي تضبط الأمن بالإقليم وهذا ماشاع روح التنافس بين القصور المتناثرة في الإقليم فقد كثرت التحالفات بين القبائل لتستعين قبيلة بقبيلة أخرى، أو تغزو قبيلة قصرا معينا وهذا ما أكثر غزو بين القصور وتدخل العلمان في إصلاح ذات البين، ولكن هذه الجهود لم تحقق هدفها فقد ظهرت عدة حروب سياسية بين القبائل[3]، منها حرب احمد وسفيان، أخذت هذه التسمية من الحرب التي دارت بين احمد وسفيان قبل إسلامهما وهذا لإظهار درجة العداوة الواقعة بين هاتين القبيلتين العربيتين باعتبارأن احمد يمثل رأس المسلمين وسفيان يمثل قريش، وبذلك أصبحت تعرف هذه الحروب بيحمد وسفيان وقيل يحمد تحريف لكمة يحي وسفيان تحريف كلمة قريش وهي قبيلة من البربر حاربت يحي فصارت عداوة بين يحمد وسفيان، وقيل لما نزلت زناتة

[1]_فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2004، ص67.

[2]_الأزواد: تقع الأزواد في شمال ووسط جمهورية مالي حاليا. انظر: مبارك بن صافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12 هجري، ص84.

[3]_احمد العماري، توات في مشروع التوسع الاستعماري الفرنسي في المغرب، رسالة ماجستير، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ادرار، 1988، ص34.

بأرض الصحراء قالوا أنها تواتي السكن، واستعان بعض الزناتة بالعرب علـــى بعضـــهم البعض واشتعلت نار الفتنة بينهم واستخفوا بعامل السلطان الذي اخبرهم ا ناهل الصحراء اشتدت الحروب بينهم، كتلك التي وقعت بين الرسول صل الله عليه وسلم وأبـــي ســـفيان فصار التعصب القبيلة هو الروح السائدة في ذلك العصر وبأقصى إقلـــيم تـــوات[1]، نجـــد الروح العصبية هي السائد فكانت قبيلة اكدوع برقان تمثل قوة فعندما تمر على أي قصـــر من القور لا يقدم له الضيافة الواجبة أو يقصرون في ذلك، فيكون جزائهم نهب أمـــوالهم والتعدي عليهم وهتك حرماتهم وإعراضهم، وقد مروا في إحدى رحلاتهم علـــى زاويـــة سيدي عبد القادر فلم يجدوا أباهم فقام أولاد سيدي عبد القادر باستفتائهم فعندما لم يرضوا بما قدم لهم نهبوا القصر، واخذوا أدواتهم الخاصة بنشاطهم الفلاحي من ملابس وحيوانات كغنيمة لهم وتوجهوا بها إلى تمنطيط[2]، وقد نزلوا بها عندما علم الأخوان ســـيدي محمـــد الصالح وسيدي عبد الكريم أبناء عبد الحق التمنطيطي بما جرى بزاوية سيدي عبد القادر وما لحق بها من نهب وسطو فتدخل الصالح أبناء سيدي عبد القادر وأصلح ذات البين بين قبيلة اكدوع وأبناء سيدي عبد القادر[3].

- النشاط الاقتصادي :مارس الإنسان التواتي مختلف الأنشطة الاقتصادية منذ عهود قديمة من زراعة وصناعة وتجارة وحاول الاعتماد على نفسه في تأمين قوته، وتحقيق نهضـــة اقتصادية تجلت في فترات من الرخاء الاقتصادي، رغم بعد المكـــان وقســـوة الطبيعـــة وعرفت فترة أخرى من الشدة والضيق.

---

[1]_الصديق الحاج احمد، تاريخ الثقافي لإقليم توات منذ القرن 11ه/14ه، منشـــورات مديريـــة الثقافـــة، الجزائـــر، ط1، 2003، ص42.

[2]_نفسه ، ص43.

[3]_عبد العزيز بكراوي، عبد القادر، الشيح محمد البكري ابن عبد الرحمان حياته وأثـــاره، مـــذكرة ماجســـتير، تـــاريخ المغرب العربي المعاصر، جامعة احمد دراية، ادرار، 2019/2018، ص8.

- جانب الزراعي: تميزت منطقة توات بمساحة شاسعة ساعدت على تنـــوع المنتجـــات الفلاحية ، كما تعتبر هذه الأخيرة الحرفة الأساسية للمجتمع باعتبـــاره مجتمعـــا زراعيـــا بالأساس، لكن الفلاح التواتي واجهته مجموعة من العوائق حالت دون تطور إنتاجه ومن أهمها:

1. ارتفاع درجة الحرارة مما يؤدي إلى تبخر المياه وزيـــادة عمـــل الجفـــاف فـــي المنطقة.
2. الرياح القوية التي تؤدي إلى فساد المنتوجات.
3. اعتماد الفلاح التواتي قديما على الوسائل التقليدية مما يؤدي الى الحد من إنتاجها.
4. انتشار الأمراض التي أدت إلى إفساد الإنتاج.
5. انعدام الأسمدة[1].

وقد اعتمد سكان إقليم توات على نظام الري منذ القديم، إذ يشير ابن خلدون بقولـــه: "في هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجاريـــة، لا توجد في تلال المغرب...عن ماء فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري عل وجه الأوديـــة واديا"[2].

وهذا ما يسمى بالفقارة ويتم توزيع مياهها بتنظيم الحصص المائيـــة حســـب نظـــام التكييل[3]، أما فيما يخص عن المنتوجات الفلاحية زراعة النخيل كانت في الصدارة وكانت النخيل شجرة مباركة قال فيها رسول الله صل الله عليه وسلم " أكرموا عمتكم النخلة " فقد

[1]_عبد الله حرمه، المرجع السابق، ص28.

[2]_ابن خلدون، ج7، المصدر السابق، ص77.

[3]_التكييل: هو عملية إجراء يتم بمقتضاها توزيع المياه بين الملكين وهذه العملية تتم على الصرف ولإجراء العملية لابد من حضور الكيال. انظر: محمد صالح حوتية، توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربـــي، الجزائـــر، (د.ط)، 2007، ص71.

كثرت زراعة النخيل في الفترة القديمة وقد انتشرت هذه الزراعة في كامل المدن وقصور الإقليم، وقد كان التمر هو الغذاء الرئيسي للفقير والغني بالإضافة إلى القمح وقد احتل هذا الأخير المرتبة الثانية بعد غرس النخيل، وقد كان يزرع في مختلف مناطق الإقليم بين المخيل في فصل الشتاء، كما كان هناك منتوجات غذائية عرفتها المنطقة منذ القديم مثل الحناء وإنتاج الجزر واللفت والعدس والحمص والفول السوداني والرمان والعنب، وتعتبر هذه المنتوجات قليلة جدا إذ لم تحقق الاكتفاء الذاتي للمنطقة[1]، إلى جانب الاهتمام بالفلاحة اهتم التواتيون منذ فترة مبكرة بتربية الأغنام و الإبل وتربية الماعز من نوع الدمان[2].

- جانب صناعي: أن جانب النشاط التجاري مارسه الإنسان التواتي وقد لعبت التجارة دورا رياديا بدأ منذ عهود قديمة تؤكده مصادر والشواهد الأثرية والأبحاث، أن منطقة توات دائما محل اختراق تجاري وصناعي منذ العهود الرومانية القديمة بالمغرب، وقد لعبت القبائل البربرية والواحات الصحراوية بما فيها توات دور وسيط تجاري النشط بين بلدان السودان، ولم تتوقف الأهمية الصناعية والتجارية للمنطقة بعد دخول الإسلام بل على العكس من ذلك تواصلت وبوتيرة أقوى[3].

شكلت النخلة المادة الأولية لكثير من الحرف التقليدية حتى لا تكاد تخلوا حرفة أو صناعة في توات ألا وتعتمد عليها بطريقة أو بأخرى، وكثير من الحرف كان يمارسها الإنسان التواتي كجزء من النشاط اليومي في البساتين أو داخل المنازل، ولا تزال الكثير من الصناعات شاهدة إلى اليوم على حرفة وعبقرية الإنسان التواتي[4]، ومن بين المصنوعات

[1]_فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، ط4، 2007، ص70.

[2]_الدمان: حيوان يشبه الخروف إلا انه في حجم العجل المتوسط له أذنان طويلتان متدليتان. انظر: محمد حجي، إفريقيا، مكتبة المعارف، المغرب،(د.ط)، 1989، ص80.

[3]_محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر، دار الهومة، الجزائر، (د.ط)، 2004، ص76.

[4]_محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر المرجع السابق ، ص77.

نجد الأبواب والنوافذ والقفاف والقيود والحبال، عقال، الدابة، الحصائر والصناديق الخشبية...الخ، إلى جانب النخيل استخدمت جلود الحيوانات كالإبل و الماشية والكثير من الصناعات منها: القرب، النعال، مغازل النسيج، الصوف، بالإضافة إلى صناعات أخرى كصناعة الرحي لطحن الحبوب، وكذلك الفؤوس والمنجل[1]، والأسلحة كالسيوف، الرماح، السكاكين[2].

- جانب تجاري: كانت منطقة توات تتمتع بموقع استراتيجي ساعدها على ممارسة التجارة وكانت منذ القديم همزة وصل بين الشمال والجنوب فاستغل السكان هذا الموقع، فاشتغلوا كتجار بسطاء في أسواق ويشير العياشي في قوله: "وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من تنبكتو ومن بلاد اكيدز من أطراف السودان، يوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان فبهذه البلاد كالخيل والملابس، فإذا قدم الركب إليها كان السوق حافلا "[3]، لهذا نجد أغلبية المدن والقصور التواتية نشأت أصلا عن طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء وعند سير هذه القوافل داخل الإقليم قاصدة الأسواق الرئيسية يحتم عليها التبادل مع أسواق بلاد توات الداخلية التي يمرون بها للحصول على احتياجاتهم لمواصلة سفرهم الطويل، وقد عمل سكان توات قبل القرن9ه/15م إلى تشكيل جالية كبيرة تعمل في التجارة في منطقة نهر النيجر الأعلى وتتولى استقبال القوافل القادمة من الشمال وتوزيع بضائعها على مختلف مدن السود خاصة بعد اشتداد الطلب على شراء العبيد، فازداد من ثم إقبال تجار الشمال على أسواق توات لشرائهم العبيد إلى جانب الذهب الخام، وريش النعام، والعاج، وهي

[1]_المنجل: آلة حادة مسننة على شكل قوس، تستخدم في الحصاد وتقليم النخيل وفي مختلف الأنشطة داخل البستان. انظر: مبارك بن صافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، المرجع السابق، ص98.

[2]_فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص42.

[3]_أبو سالم العياشي، رحلة العياشية، ج2، دار السويدي، أبوضبي، ط1، 2006، ص80.

سلع لاتقل أهمية عن تجارة العبيد ومن الأسواق نذكر سوق تمنطيط وسوق عين صالح وتميمون[1]، كما كانت تسوق بها كانت تجلب من شمال المغرب الإسلامي كالخيل والملابس المطروزة والحريرية وتمثلت المنتجات التواتية في هذه الأسواق وكان طلب تجار السودان عليها كبير ورغم بعد أسواق توات وتوغلها في قلب الصحراء إلا أنها جلبت إليها قوافل المسافرين فيصف لنا العياشي احد أسواق توات الذي يقام في قصر برنكان " ثم ارتحلنا منها ودخلنا أول عمالة توات وذلك عندما مرينا بها لتأدية فريضة الحج، وهي قرية تاسبيت... وأقمنا بها ستة أيام وبعنا بها خيلنا وما ضعف من أبلنا واشترينا ما نحتاج إليها من تمر، وبها من التمر أنواع كثيرة ووجدنا فيها التمر رخيصا " وساهمت مدينة تمنطيط هي الأخرى في إنعاش النشاط التجاري في المنطقة، وهذا لأنها كانت مكان استقرار الجالية اليهودية لمدة طويلة، وقد ظلت القوافل التجارية القادمة التي كانت تسلكها القبائل المغربية، عند اجتياز الصحراء الكبرى إلى إفريقيا الغربية بقصد المتاجرة لغزا محيرا لمدة طويلة من الزمن[2]، لاعتقاد الكثير أن الحياة بين بلاد المغرب وبلاد السودان منعدمة في حين كانت القبائل الصحراوية تروح وتجيء آمنة حاملة معها السلع المختلفة وأهمها الملح والأقمشة والأوعية الفخارية والمعدنية والحبوب[3]، وفي مقدمة هذه القبائل الطوارق الصنهاجية وقبائل لمتونة وغيرها تحمل هذه المنتجات العربية الإسلامية إلى قلب السودان القديم كمالي[4] والنيجر والسنغال وغيرها من الأقطار الإفريقية ثم تعود محملة بالذهب والفضة والمعادن والأحجار الكريمة والريش والطيور والقردة

[1]_أبو سالم العياشي، رحلة العياشية، ج2، المصدر السابق، ص81.

[2]_ابن خلدون، ، ج7، المصدر السابق، ص78.

[3]_محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ط)، 1983، ص97.

[4]_مالي: تأسست في مالي إمبراطوريةإسلامية كبيرة بعد دخول الإسلام إليها في القرن10م وامتدت من السودان الغربي بين نهر النيجر والمحيط الأطلسي يعود لها الفضل في انتشار الإسلام في بلاد الهوس في القرن 8ه. انظر: امينة بوحجر، موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة، الأردن، ط2، 2010، ص425.

والحيوانات المفترسة، وقد استعمل التجار التواتيين وكلاء خاصيين بهم في جميع المناطق التجارية خصوصا ببلاد السودان ومما يدل على بلاد تـوات وتجارتهـا مـن الناحيـة الاقتصادية، كما كان لتجار دور كبير في نشر الإسلام وذلك لاحتكاكهم الشديد مع سـكان بلاد السودان[1].

- النشاط الاجتماعي: عاش في إقليم توات منذ القديم مزيج مـن الشـعوب والأجنـاس والطوائف فسيفساء بشرية يعود السبب في حدوثها إلى الهجرات المتتالية والتي بدأت من العبديين والبرامكة وانتهت **بالهلاليين**[2] والمرابطين وغيرهم من القبائل والشعوب، وذلـك إما لأسباب نفعية أوأمنية أو دينية التي عرفت في مختلفة الجهـات الشـمالية والجنوبيـة والشرقية منها والغربية، بالإضافة لوقـوع الإقلـيم بـين منـاطق عرفـت بسـخونتها واضطراباتها وكثرة الصراعات في داخلها، ويمكن لأي زائر سكان أي واحة في المنطقة أن يميز فيها بين ستة أصناف من الفئات وهي الشرفاء والمرابطين والعوام **والخـراطين**[3] والعبيد واليهود، وأما التقسيم المجتمع من حيث الطائفية فهو ينقسم إلى طـائفتين اثنـين تتدرج تحت كل طائفة كافة الأجناس التواتية، وهم طائفة يحمـد وسـفيان وكانـت بـين الفريقين حروب ومشاجرات.

كانت لغتهم العربية والدارجة وعقيدتهم الأشعرية ومذهبهم مالكي وطريقتهم جنيديـة ويغلب على سكان توات سمرة البشرة وهذا يرجع لأشعة الشمس[4]، وان نظام المجتمع منذ

---

[1]_ابن خلدون، ج7، المصدر السابق، ص90.

[2]_الهلاليين: هم بطن من بطون هوزان العربية ينتسبون إلى هلال بن عابر بن معاوية بن بكر من هوزان بن منصـور من عكرمة بن قيس عيلان نزحوا من الجزيرة العربية الى مصر في القرن الرابع هجري، ومن فروعهم زعبة، جشـم. انظر: محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، قاهرة، (د.ط)، 2001، ص445.

[3]_الخراطيين: يقال لهذا الجنس من صحراء توات الخرطان جمع مفرده خرطاني والأنثى منه حرطانية. انظر: حوتيـة محمد، قبيلة كنتة بين إقليم توات والأزواد، رسالة ماجستر، التاريخ، جامعة الجزائر، 1998، ص63.

[4]_محمد صالح حوتية، توات والأزواد، ج2، المرجع السابق، ص388.

القديم باختلاف طبقاته وتغير أحواله وظروفه كل ذلك سبب لهجات مختلفة لم يوجد بين طبقات الناس وفئاتها من فروق في الثقافة والتربية، وقد يتساوى المجتمع التواتي في العادات الاجتماعية الخاصة بالأطباق المحلية المتمثلة في استهلاك التمور وطهي الطعام وشرب الشاي فقد كانت الأطباق كالطعام يعدونه باللحم والخضر وكان اللحم يشوى على الجمر، ولحوم الصيد يأكلها الفقراء والصبيان وطهي الطعام يتم بالحطب من جريد النخيل وكان الشاي بالنعناع هو المشروب الشعبي بحواضر توات منذ فترة بعيدة وكان يقدم على الطريقة المغربية عدة مرات في اليوم، وجدت حول المستنقعات أعشاب عرفت منذ قديم بطعمها القريب إلى الشاي، أما التمور فيقومون بتكسيرها في مهارس كبيرة مصنوعة من الخشب، ويحضر الخبز عند السكان بطرق متعددة ومنها الدفن في الرمل الساخن، أما من خلال ملبس أهل توات فكانوا يرتدون الملابس الفضفاضة واختيار الألوان الفاتحة التي تعكس ألوان الشمس[1].

أما الحالة الصحية بإقليم توات قبل القرن التاسع هجري فتميزت بوجود العديد من الأمراض التي تعبر عن التأخر الصحي، والشكل المعماري للمساكن المكتشفة توحي ببساطتها بحيث بنيت خصيصا لغرض العيش داخلها[2]، والمعتقدات الشعبية نجد اهل توات منذ فترة بعيدة يحبون الأولياء الصالحين والطب الشعبي وكذلك السحر، والمرآة التواتية منذ صغرها تتربى على طاعة الوالدين والجد والجدة وكل كبار العائلة[3].

- **النشاط الثقافي:** كانت بلاد توات سائبة متحررة من ربقة السلطان تديرها جماعة الحل

[1]_محمد صالح حوتية، توات والأزواد، المرجع السابق، ص390.

[2]_سماح كمال الدين، العمارة الإسلامية في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتابة، مصر، (د.ط)، 1982، ص102.

[3]_أم هاني طوهارية، تطور الذهنيةالاجتماعية في منطقة توات المرآة التواتية نموذجا، مذكرة ماجستير، تاريخ المغربي عبر العصور، جامعة ادرار، 2014/2013، ص22.

العقد بها في كافة شؤونها الحياتية، وذكر المغيلي في مصباح الأرواح كيف كان ينبعث المجتمعالتواتي يتفش الجهل في قوله " بقلة المرشدين وأهل العلم بهذا البلاد يومها " وهو محق إذا لو كانت بها حركة علمية يومها لما احتاجت مسالة نازلة يهود التي أثارها المغيلي إلى أن تعرض على علماء الأمصار خارج البلاد التواتية ولم نجد ذكر الأعمال قبل قرن9ه ببلاد توات من أهل العلم و الفتوى في فترة ما قبل القرن9ه[1]، وهذا إذ دل على شيء فإنما يدل على أن هذه البلاد لم تكن في عصورها الأولى ذات أهمية تتطلب التفات المؤرخين أو الرحالة أو الجغرافيين وهذا ناتج عن عدم وجود حركة ثقافية بهذه البلاد في عصورها الأولى ولقد صور لنا العياشي الحياة العلمية لمنطقة **تاسبيت** في توات أثناء زيارته لها بقوله "...ولم نلقى هناك احد ممن ينتسب إلى الولاية أو صلاح ولا من أهل العلم والفلاح وغالب أهلها عوام أهل التجارة..." وسرد لنا كذلك عبد الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنبلتي في فهرسته "...فوجدنا بلاد توات **وتنجارين**، جيدها عاطل من العلوم، وجل طلبتها لا يحسنون مسائل الوضوء[2].

وهذا قبل دخول الإسلام إلى منطقة لكن بعدما دخل الإسلام حتى أصبحت تتميز بحركة ثقافية عالية فقد وفد إليها العلماء والمشايخ من جميع الجهات فأنشأ بها المدارس وتعلم الناس أمور دينهم فنشطت توات باللوم العقلية وقد صار أهل توات يبحثون في المجالات الفكرية والعلمية فنشطت حركت العلم والتعليم بتوات وأصبح الناس يحرصون على تعليم أبنائهم استنادا بقول الرسول صل الله عليه وسلم "اطلبوا العلم لو كان في الصين" فحرص الناس على انشغالهم بالعلم وطلبهم بالمعرفة وصار منهم العلماء، وأصبح منهم الفقهاء ومما زاد البلاد خيرا هو توافدهم على المنطقة، الأمر الذي جعلهم يساهمون كثيرا في نهضة البلاد فعملوا على نشر الإسلام بطريقة مرضية، واستطاعوا أن يقضوا

[1]_أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص11.

[2]_نفسه، ص12.

في المنطقة على الكثير من العادات السيئة الوافدة من جهة السودان الغربي[1]، وبعد دخول الإسلام وانتشاره في توات أنشأ الكتاتيب القرآنية كانت تسمى عندهم بأقربيش أو المحضرة ومنهم من يسمونها بالمسيد أو المسجد أو الجامع وقد كانت تعد لمرحلة الأولى للتعلم القرآني يلتحق بها الصبيان في سن الخامسة أو السادسة، مهمتها تعليم الحروف الأبجدية والكتابة ثم بعد ذلك تحفيظ القرآن الكريم، باستخدام أدوات الكتابة وفق الرسم العثماني برواية ورش، باعتماد على تعلم مبادئ العقائد والتجويد، باستناد على قول أبو هريرة رضي الله عنه عن الرسول صل الله عليه وسلم "يا أبي هريرة علم الناس القرآن، وتعلمه فإنك أن مت وأنت كذلك زارت الملائكة قبرك كما يزار البيت العتيق" رواه الخطيب البغدادي[2].

[1]_عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص52.

[2]_محمد طمار، المرجع السابق، ص77.

فصل الأول

المغيلي وإقليم توات

1.حياة عبد الكريم المغيلي

- **مولده ونشأته**
- **شيوخه**
- **تلاميذته**
- **مؤلفاته**

2.الخلفية الجغرافية والديمغرافية لإقليم توات

- **اصل التسمية**
- **الموقع والتقسيم الجغرافي**
- **المناخ والتضاريس**
- **اصول السكان**

3.أوضاع إقليم توات

- **الأوضاع السياسية**
- **الأوضاع الإقتصادية**
- **الأوضاع الإجتماعية**
- **الأوضاع الثقافية**

ظهرت ببلاد المغرب الإسلامي حركة علمية وثقافية، مما أكد بروز مجموعة من العلماء والفقهاء، من أبرزها الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وكانت حياته كلها نفع وخير للمسلمين وصاحب نجاح و تفوق، وكان ساهرا على حماية الإسلام ومبادئه، وله مكانة عظيمة وخاصة في البلاد.

المبحث الأول: حياة عبد الكريم المغيلي

أولا/ مولده ونشأته: ولد سيدي محمد بن عبد المغيلي التلمساني في مدينة مغيلة[1]،أما عن تاريخ مولده فلم تتحدث المصادر عن تاريخ محدد فهناك رأي يقول انه ولد في 831ه الموافق لسنة 1427م[2]، وهناك من يرجع مولده إلى 830ه الموافق لسنة 1426م[3]. وقد ذكر أيضاعبد الحميد البكري انه ولد في 820ه الموافق لسنة 1417م[4].

نشأ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بتلمسان في بيت عشيرته وأقربائه ضمن أسرة عريقة في الحسب والنسب والعلم، لها مكانتها العلمية والشهرة العالية[5]، تلقى دراسته الأولى بتلمسان حيث حفظ القران على يد السيد احمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب[6]،كما أخذ الحديث عن الإمام (سعيد المقري)، وعلوم العربية من الإمام

---

[1]-مغيلة: قبيلة التي تقطن نواحي تلمسان، هي الآن دائرة و بلدية تابعة لولاية تيارت. انظر: مقدم مبروك محمد بن الكريم المغيلي التلمساني، مج 3،وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، تلمسان، د.ط، 2011، ص25 .

[2]-مبروك مقدم، الإمام عبد الكريم المغيلي ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، دارالغرب للنشر و التوزيع، د.ط.ت، ص27 .

[3]-عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني، ج 1، وزارة الثقافة، (د.ط)، 2011، ص.127.

[4]-عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص99.

[5] -مبروك مقدم، الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص39

[6] -مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد المغيلي التلمساني و دوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، المرجع السابق، ص27.

(يحي بن أيدر). ثم رحل في طلب العلم فقصد مدينة بجاية، وهي يومئذ بلاد علم[1]، ثم انتقل إلى مدينة الجزائر العاصمة، حيث جالس الإمام الشيخ عبد الرحمن الثعالبي[2] لفترة، وتلقى عنه العلم و مناهج المذهب الإصلاحي الذي سيعتمد عليه في مهمته بأقاصي الصحراء[3]،ولما رأى الإمام الثعالبي في المغيلي الذكاء والفطنة والشجاعة، قربه إليه وزوجه ابنته زينب وأعطاه الطريقة الصوفية القادرية وأمره بنشرها في الأماكن التي يذهب إليها[4].

رجع إلى تلمسان واستمر في طلب العلم وتحصيل ما يمكن تحصيله، وفي هذه الفترة و خلال انشغاله بالتدريس في تلمسان، لاحظ التعفن السياسي يسود عرش بني زياد و خروج الأمراء الزيانيين عن الجادة الإسلامية، وانغماسهم في الملذات، واستسلامهم لأهواء الأجانب من اليهود و الإسبان، فانف العيش هناك وتاقت نفسه للهجرة أين يكون في مقدوره القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5]، واتجه نحو توات[6].

---

[1]- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني،مج3 ،المرجع السابق، ص26.

[2] -عبد الرحمن الثعالبي: درس ببجاية و اخذ العلم عن علمائها ثم انتقل إلى تونس و انتفع بشيوخها ، ثم سافر إلى مصر ثم قصد الحجاز للحج ثم رجع إلى الجزائر ، صار من كبار علمائها. انظر: شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهالي القرن التاسع ، ج 4، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط.ت)، ، ص152 .

[3] -خير الدين شترة، الفكر الإصلاحي و الدعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ، مؤسسة البلاغ و النشر و الدراسات و البحوث، ج3 ،(د.ط)،2013 ،ص266 .

[4]- مبروك مقدم ، الإمام المغيلي من خلال المصادر و الوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر للطباعة و النشر، ط1، 2002، ص42.

[5]-قاضي عمارة، الفقيه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي و دوره في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي ، مذكرة ماستر، تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي ، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة ، 2015/2014 ،ص22.

[6] -توات : هي اليوم إقليم كبير بالصحراء الجزائرية الغربية يتمنه اليوم الإقليم الإداري الكبير المسمى "ولاية ادرار" يضم الإقليم عدة قصور. انظر: عبد الله حمادي الإدريسي، الفوات من تاريخ توت و صحاري الجهات ، ج1 ، دار الكتاب الملكي، ط1، 2013، ص7 .

دخل المغيلي إلى تمنطيط[1]، فتتلمذ على يد الشيخ يحي بن يدير التادلسي، كانت تمنطيط حينها مدينة علمية بالمعنى الكامل. فاخذ رحمه الله عن فقهائهاو جالس علمائها و ناظر أدباءها، فقال رحمه الله: (انتفعت منهم و انتفعوا مني) [2].

ثانيا: شيوخه

تتلمذ المغيلي على يد عدة مشايخ وأخذ عنهم العلوم و هذا لحرصه الشديد على طلب العلم ومن ابرز شيوخه نذكر:

محمد احمد بن عيسى المغيلي الجلاب:

قال عنه الشيخ السنوسي[3] انه حافظ لمسائل الفقه، قال الملالي ختم عليه السنوسي المدونة مرتين[4]، وله فتاوى في المازونية والمعيار ووصفه المازوني بصاحبها الفقيه قال الونشريسي وفياته شيخنا الفقيه المحصل الحافظ توفي سنة 875ه[5].

الشيخ عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي:ولد بناحية وادي يسر عام 786ه/1384م رحل في طلب العلم فدخل بجاية، فلقي بها أصحاب الفقيه الزاهد عبد الرحمن الوغسيلي[6]،

---

[1]- تمنطيط: كلمة مكونة من اسم أعجمي هو بلغة الزناتة يعني : تمي الحاجب ، تيط العين و بالعربية حاجب العين هي بلدة من أقدم بلدان الصحراء، سكنها البربر و بنو فيها قلعة محكمة على جبل كبير. انظر: عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص22 .

[2]- نفسه، ص101 .

[3]-السنوسي: هو الشيخ العلامة الجزائري أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي نسبه إلى قبيلة بالمغرب من كبار علماء تلمسان مولده 830ه/1426م و وفاته سنة 895ه/1489م . انظر: على محمد الصلابي، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا،ج1، مكتبة التابعين ، القاهرة، ط.1، 1001، ص22 .

[4]-خير الدين شترة، ج3، المرجع السابق، ص300 .

[5]-أبو قاسم الحنفاوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، تونس، ط2، ، 1985، ص 144.

[6]-الوغسيلي: هو من بجاية يعد من أوائل الشيوخ الذي تتلمذ على يدهم الإمام المغيلي بحيث اخذ جملة من العلوم . انظر: محمد الصلابي، المرجع السابق ، ص22 .

وغيرهم من العلماء والفقهاء[1]ألف العديد من الكتب جلها في الزهد والتفسير والسيرة والتوحيد كتفسيره الجواهر الحسان في تفسير

القرآن، وروضة الأنوار ونزهة الأخيار وممن أخذ عنه العلم الإمام السنوسي والإمام المغيلي وغيريهم[2].

يحي بن يدير بن عتيق التدلسي[3]:

الفقيه العالم العلامة قاضي توات، درس بتلمسان على يد الشيخ أحمد بن زاغوالنغراويوكانت هجرته إلى توات عام 845ه/1442م واشتغل قاضيا بها[4]،توفي بقسنطينة يوم الجمعة قبل الزوال عاشر صفر عام سبعة و سبعين وثمانمائة[5].

ثالثا: تلاميذه

كان للإمام المغيلي مجموعة من التلاميذ نذكر منهم باختصار :

الشيخ عمر بن احمد البكاي: بن محمد الكنتي بن علي بن يحي بن عثمان بن بهش بن ورد العاقب بن عقبة بن نافع الفهري ولد عام 865ه/1460م[1].

---

[1]-خير الدين شترة ، ج 3، المرجع السابق ، ص 302 .

[2]-احمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج ، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية،ج1 ،(د.ط) ،2000، ص 280 .

[3]-التدلسي : سمي بالتدلسي لأنه من أهل دلس و هي مدينة عتيقة على بعد نحو أكثر من 50 ميلا عن شاطئ البحر الأبيض المتوسط . انظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط) ، 1983، ص 42 .

[4]-نور الدين حاج احمد، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسالة التي بعثها للملوك و الأمراء و العلماء، رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة باتنة، 1431ه/2010م ، ص 42 .

[5]-احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ج 2، دار الكتاب ، طرابلس، ط.2، 963ه/1036م، ص 637 .

درس في صغره على يد والده، ثم رحل إلى بلاد المغرب ومنها إلى مصر ومر ببلاد الشام وأدى فريضة الحج ،ثم عاد إلى بلاد التكرو[2]، وهناك التقى بالإمام المغيلي فلازمه و تبعه في جميع رحلاته الداعية لنشر الإسلام وأدى فريضة الحج مرة ثانية برفقته وعاد معه إلى توات[3]أخذ عنه علوم الحديث والفقه والعربية والسياسة الشرعية والمنطق والفرائض[4].

محمد بن عبد الله الفجيجي:

الولي الصالح صاحب كرامات وله منظومات في المدح النبي صلى الله عليه وسلم، كانت دراسة الأولى على يد والده عبد الجبار وغيره من علماء المنضمة، أسس زاوية في بلاده[5]التقى بالمغيلي في فاس[6]، وأخذ عنه التصوف وعلم الحديث والفقه، ثم رجع إلى مسقط رأسه وتولى التدريس والقضاء إلى أن وافته المنية عام 956ه/1549م .[7]

محمد بن احمد بن أبي محمد التازختي :

---

[1]-نور الدين حاج احمد، المرجع السابق، ص 32 .

[2]-التكرو: تطلق على البلاد التي يسكنها شعب التكرو الزنجي الذي يعمر جزء الجزء الأكبر من أقصى إفريقيا الغربية بشرق السنغال حاليا . انظر: عبد الله حمادي الإدريسي، ج 1، المرجع السابق، ص 59 .

[3]-عائشة بوشقيف، الدور الفكري لعبد الكريم المغيلي في إقليم التوات و السودان الغربي، رسالة ماجستير، ضم التاريخ و العلم الإثارة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان 2010-2011، 38ص.

[4]-نور الدين حاج احمد المرجع السابق، ص38.

[5]-أبو عبد الله مريم، البستان في ذكر الأولياء و علماء تلمسان، تح محمد بن أبي شني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1986، ص 226.

[6]-فاس : تمتد من نهر أم الربيع غربا إلى نهر ملوية شرقا ، و في الشمال يحد قسم منها بالبحر المحيط و سائرها بالبحر المتوسط و تنقسم إلى سبعة أقاليم . انظر: حسن الوزان ،ج 2 ، المصدر السابق، ص 193.

[7]-عبد الله جمادي الإدريسي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني، ج 2، المرجع السابق، ص 182 .

شهر ب أيد احمد، قرأ ببلده على يد الحاج احمد بن عمر وعلى خاله الفقيه علي ثم رحل إلى تكدة[1]،فلقي بها المغيلي و حضر دروسه[2]، وأخذ عنه الفقه والمنطق والحديث والعقيدة

ثم رحل إلى المشرق صحبة الفقيه محمود، وأخذ من علمائها علم الحديث واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين ثم رجع لبلاد السودان وتولى القضاء[3].

رابعا: مؤلفاته

للشيخ المغيلي جملة من المؤلفات في مجالات مختلفة من العلوم والمعارف تدل على سعة علمه وثقافته، نذكر مايلي :

مصباح الأرواح في أصول الفلاح:هو رسالة المغيلي في أحكام اليهود، افتتحه بقوله انه رسالة منه إلى كل مسلم ومسلمة أجاب فيه على السؤال التالي:"مايجب من الجزية والصغار وما عليه أكثر يهود الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية

بتوليه أرباب الشوكة أو خدمة السلطان "[4] حققه رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968م[5].

---

[1]-تكدة: بلدة بمملكة اهير شمال اقدر وهي قرية من بلاد السودان الغربي انظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ص 127

[2]-أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج في تطريز الديباج ، المصدر السابق، ص 587 .

[3]-احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج ، ج 2، المصدر السابق، ص 223 .

[4]-عبد الله حمادي الإدريسي ، الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني ،ج 2 ، المرجع السابق ، ص 300 .

[5]-نفسه ، ص 299 .

تاج الدين فيما يجب على الملوك و السلاطين: هي عبارة عن جملة من الأسئلة دارت بين الإمام المغيلي و أمير كانوا محمد بن يعقوب رنفا، قدم المغيلي لأمير كانوا من خلال هذه الرسالة بعض الأسس السياسية العامة للإمارة عنى طريق ثمانية أبواب[1].

حققه محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1994م.[2]

أسئلة الاسقيا و أجوبة المغيلي: تدور أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي في مجملها حول سبعة مسائل مطولة تضمنت أحوال البلاد من الداخل وعلاقتها مع بقية الإمارات والقبائل المجاورة ، توجد من نسخة في خزانة أحفاد المغيلي ، ونسخة بالمكتبة الوطنية بالحامة، وقد نشرت أول مرة من طرف الأستاذ عبد القادر الزبايدية ، ثم أعيد نشرها من طرف الباحث مبروك مقدم في كتاب خاص سماه " أجوبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي للأمير الحاج محمد بن أبي بكر اسقيا الكبير"[3].

تفسير سورة الفاتحة:مخطوط ملك خاص بالأستاذ نذير أوسالم مدير المركز الإسلامي التابع لوزارة الشؤون الدينية بمدينة وهران بالجزائر[4].

الرد على المعتزلة:عبارة عن رسالة مخطوطة توجد نسخة منها بمتحف زاوية الشيخ المغيلي بتوات. رد فيها عن آراء المعتزلة الكلامية وألف هاته الرسالة بطلب من

---

[1]-احمد بابا الصافي الجعفري، من تاريخ توات، منشورات الحضارة، الجزائر،ط.1، 2011، ص 16 .

[2]-عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني، ج 2، المرجع السابق، ص 303 .

[3]-نور الدين حاج أحمد، المرجع السابق، ص 74 .

[4]-عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام عبد الكريم المغيلي و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني، ج 2 ،المرجع نفسه، ص 310 .

بعض زملاءه العلماء في بلاد المغرب لمناصرة أهل السنة ، وفي هاته المخطوطة نلاحظ أن المغيلي لا يرد على عقائد المعتزلة الفاسدة ردا مباشرا[1].

وفاته : بينما كان الإمام المغيلي بمنطقة السودان الغربي بالضبط إمارة كانوا بنشر تعاليم الدين الإسلامي ، وقيامه بدوره في النصح والوعظ والإرشاد سمع بمقتل ابنه عبد الجبار الذي خلفه من وراءه في توات ، فانزعج اشد الانزعاج لخبر فعاد المغيلي إلى منطقة توات و جمع أنصاره وهيأ جيشه للخروج لمحاربة اليهود وفي طريقه برز له الشيخ عمر ابن عبد الرحمان زعيم قبيلة أولاد علي بن موسى وكانت هذه القبيلة قد تحالفت مع اليهود ضد انتفاضية المغيلي في جيش يقوده ابنه علي [2]، والتقي الجمعان ودارت بينهما حرب طاحنة ولم يتمكن أي الفريقين من إحراز النصر النهائي وعندما لم يتمكن المغيلي من إجلاء اليهود من أرض توات عاد إلى وادي البرامكة أين توجد زاويته [3]، وضل بها حتى وفاته في رمضان سنة 909ه/1503م [4].

المبحث الثاني: الخلفية الجغرافية و الديمغرافية لإقليم توات

أولا- أصل التسمية:

[1]-احمد بابا الصافي جعفري، المرجع السابق، ص 18 .

[2]-علي: هو الذي سيحكم توات عام 951ه/1544م . انظر : احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المصدر السابق، ص 577 .

[3]- نفسه، ص 578.

[4]-مجلة الذاكرة، محمد بن عبد الكريم المغيلي – من المهد إلى اللحد - ، العدد السابع، ماي 2016، ص 19 .

اختلف المؤرخون في أصل التسمية، وقدموا في ذلك تفاسير وأخبار كثيرة من الباحثين فان أول ذكر لاسم توات كان على لسان الرحالة ابن بطوطة[1] الذي زار المنطقة سنة 754ه/1353م، ويعد كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" من أقدم المصادر التي ذكرت الإقليم بهذا الاسم (توات)[2]، فيقول في كتابه تحفة النظار "... و رفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدى و توات ... " وقال أيضا " ... وأقمنا في بودة[3]أياما "

وهناك روايات كثيرة حاولت تفسير الأمم والبحث عن مصدره ومن أهمها مايلي:

الرواية الأولى: ما ذكر الشيخ عبد الرحمان السعدي، الذي قال في كتابه تاريخ السودان إن سلطان كنكان موسى[4]، كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بلده، فلما وصلوا هاته الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات، فانتظرهم السلطان و من معه، لعلهم يشفون بسرعة من مرضهم، ولكن أبطاهم المرض و صار الحال إلى مالا يرضيهم فتركهم السلطان فيها وسار بمن معه وهؤلاء الذين بقوا وجدوا هاته الأرض مخضرة، وذات بساتين وواحات ، فمكثوا بها واستقروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصيبوا به و هو توات.[5]

---

[1]-ابن بطوطة: هو محمد بن عبد الله اللواتي، ولد بطنجة سنة 1304م، قضى 28 سنة يتجول في الأفاق شرقا و غربا، قطع مسافة تقدر ب 20000 كلم ، قام بعدة رحلات منها إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج . انظر : احمد أمين و آخرون، المرجع السابق، ص 5 .

[2]-ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 406 .

[3]-بودة : من اكبر القرى في توات، و أرضها رمال و سباخ و ثمرها ليس بطيب . انظر: ابن بطوطة، المصدر نفسه ، ص 279 .

[4]-كنكان موسى : احمد ملوك دولة مالي في غرب إفريقيا قرب نهر النيجر، قام برحلة الحج عام 1325م/726ه ومنها اخضر مهندسا من الأندلس من اجل تعمير تلك المنطقة . انظر : خير الدين شترة ، المرجع السابق، ص 67.

[5]-عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، باريس، 1964، ط.4 ، ص 07 .

الرواية الثانية: أوردها المؤرخ الكبير والقاضي الفقيه، صاحب المواهب والمكارم،سيديمحمد بن عبد الكريم بن عبد الحق بن البكري، فهو يرى في كتابه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام أن سبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى الدولة الموحدية[1]، فملوك هاته الدولة ما عرفوا هاته الأرض إلا بكونها مليئة بالخيرات، قد أبوا على أخذ ما فيها من أتوات ومن يومها غلب عليها الوصف فصار أهلها يعرفون بالا توات ثم حذفت أداة التعريف مع مرور الزمن أصبحت توات[2].

الرواية الثالثة: ذكر محمد الأنصاري الرصاع صاحب " فهرست الرصاع " قال أن أصل التسمية لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء. حيث يقول : "و الملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب، عرفوا بهذا الاسم لأنهم يتلثمون بلثام ازرق و منهم طوائف الطوارق و لمتونة[3]والتوات "[4]

الرواية الرابعة: وصاحبها مولاي أحمد الطاهر الإدريسي، ويرى أن سبب تسمية توات لان تواتي للعبادة، فهي طالما كانت ملجأ وملاذا للكثير من العلماء والأولياء الصالحين الذين اتخذوها مقرا للخلوة والتعبد[5].

الرواية الخامسة: المؤرخ الفرنسي مارتن Martin هو احد الفرنسيين الذين اهتموا بالتاريخ. اسم كلمة توات إغريقي ويستدل على ذلك أنه في الفرنسية يطلقون على الواحة

---

[1]-الدولة الموحدية : تنسب إلى الجماعة الإسلامية التي كونها محمد بن تومرت المهدي بالمغرب الأقصى . انظر : الزركشي، تاريخ الدولة الموحدية و الحفصية ، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2، (د.ت) ،ص 06 .

[2]-عبد الحميد البكري ، المرجع السابق ، ص،ص 15-16 .

[3]-لمتونة : مجموعة كبرى من قبائل البرانس الصنهاجية من بينها لمتونة و كانت مواطنها الأصلية بالصحراء الكبرى بين المغرب و السودان الغربي . انظر : سليمان الطيب محمد، موسوعة القبائل العربية، مج 1، ج 1، دار الفكر العربي، مصر، ط 2، 1997 ، ص 1056 .

[4]-محمد الأنصاري الرصاع، فهرست الرصاع، تونس، (د.ط)، ، 1967م، ص 127 .

[5]-خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 69 .

اسم (وازيس – oasis) وهو مصطلح إغريقي يتركب من كلمتين إحـــداهما (وا- oa) الذي يتطابق مع مصطلح البربري (وا) في اللفظ والمعنى وهو يدل على الجمع مفرده (توات – Touat) ، ويعطي على ذلك مثال (تواتن عبو touateblou) وتعني واحـــة الماء[1].

الرواية السادسة: وصاحبها المؤرخ ماندوفيلmandeville هو احد الغربيين، يرى أنإسم توات أطلقه الطوارق والعرب، على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة و واد مسعود[2]

الرواية السابعة: صاحبها روكيس reclus الذي يقول ان توات اسم بربري يعنـــي الواحات[3]. وفي الأخير يمكن القول، إن كثير الروايات دليلا على عدم البـــث فـــي هـــذه المسالة من طرق المؤرخين والباحثين.

ثانيا: الموقع و التقسيم الجغرافي لإقليم توات

الموقع الجغرافي:

يقع إقليم توات في أقصى الجنوب الغربي وفي وسط الصحراء الجزائرية التي هـــي جزء من الصحراء الإفريقية الكبرى وعلى مسافة 1500 كلم[4]، و هي تقع ما بين نهايات

---

[1]- Martin. A-g—p. quotre siecles d histoire marocaim .150.1904. paris. 1923.1.2.

[2]- Madevil . g. lalgerie meridomale et le touat. Paris. 1898.p.8.

[3]- Reclus elisee . nourelle geograplne umverselle. T.x. lafrique septentnoale. Paris. 1886.p845.

[4]-فرج محمود فرج، اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين، ص 13.

الهضبة العليا لقورارة التي تشكل الحافة الشرقية لواد مسعود[1]باتجاه الغرب فأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان[2]، ويحدها من الشمال الغربي منطقة الساورة والعرق الكبير، وهضبة تادميت من الشمال الشرقي، ومن الغرب عرق الشاش [3] ومنطقة واد الساورة

ومن الجنوب صحراء تنزروفت[4]و هضبة مويدر

ومن الشرق تادميت إلى هضبة مويدر جنوبا [5]يضم الإقليم عدة قصور[6]، بحيث لا تقل هذه القصور عن 135 قصرا حاليا[7].

الموقع الفلكي:

يقع إقليم توات فلكيا بين دائرتي عرض ستة و عشرون درجة إلى ثلاثون درجة شمال دائرة الاستوائية ، ويبعد عن مدار السرطان درجتين ونصف تقريبا لجهة الشمال ، وبين خطي طول أربع درجات شرق خط غرينتش إلى خط واحد درجة غربا [1].

---

[1] -واد مسعود: يتكون من اتحاد واد قير مع وادي زوز فانة عند فجيج يتجه نحو الجنوب و هناك يطلق عليه واد الساورة يصل كرزازة و يغير اتجاهه نحو الغرب ثم يتجه نحو الجنوب . انظر : خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 76 .

[2] -عبد الله حرمة، المرجع السابق، ص 12 .

[3] -عرق الشاش : هو كثبان رملية .

[4] -تنزروفت : صحراء شاسعة حصوية بيضاء اللون جافة تمتد إلى غاية المناطق الخصبة بآهقار وكل طرقها تؤدي إلى طريق السودان، اشتق اسمها من لغة التوارق والذي يعني ارض السودان . انظر : سالمي زينب، المرجع السابق، ص 8 .

[5] -مبارك بن صافي الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12ه، ص 32 .

[6] -القصر : في الاصطلاح المحلي هو القرية المحصنة بالأسوار و الأبراج و ينفذ إليها عبر باب أو أبواب و هذه الهندسة المعمارية لبناء القرى كانت معروفة منذ القدم . قال تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر باسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) سورة الحشر . الآية 14 .

[7] -عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام المغيلي و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات، المرجع السابق، ص 165 .

التقسيم الجغرافي لتوات:

يتشكل من ثلاث وحدات أساسية هي تيجورارين، توات الوسطى، تيدكلت.

أ. **تيجورارين:** وتسمىأيضا قورارةوتكورارين وتغني بالبربرية "المعسكرات" أو "المخيمات".[2] حدد ابن خلدون موقعها على مسافة عشر مراحل من تلمسان، في واد منحدر من المغرب إلى المشرق، خاصة بسكان، قصورها كثيرة تقارب المائة تسمى تيكورارين[3].

أما حسن الوزان، أشار إلى موقعها شرق تسابيت بنحو 120 ميلا، وأنها منطقة ماهولة بالسكان بين حدائق النخيل، ذات ارض كثيرة صالحة لزراعة إذا ما تم تسميدها بالسماد مشتملة على ما يقرب خمسين قصرا وأكثر من مائة قرية [4]. أما البوداوي الجعفري أحصى قصورها في حدود الثلاثمائة قصرا . قال " و في شرق تسابيت قصور تيكرارين تنتهي إلى ثلاثمائة أوأكثر في واد واحد ينحدر من المغرب إلى المشرق " .[5]

يوجد في تنجورارين أعداد كبيرة من القصور يمكن ترتيبها في المناطق كما يلي :

---

[1]-فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 13 .

[2]-ثياقة الصديق :نمط العمارة القصورية و المراحل الاستيطان البشري بإقليم توران، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي ادرار و تيارت: العلاقات الحقارية بين إقليم توران و حواضر المغرب الإسلامي، جامعة ادرار : 14افريل 2009م ، 109ص.

[3]- ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق ، ص 77.

[4]-حسن الوزان، ج2، المصدر السابق، ص134.

[5]-احمد أبو سعد، الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12ه/18م، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ المغربي، جامعة ادرار، 2011-2012، ص 4 .

منطقة تينركوك:سكنتها قبائل زناتة ، ثم زحزحتها قبيلة المحارزة التي استقرت بالمنطقة بدا من القرن الحادي عشر هجري [1] .

ومن قصورها نذكر: تابلكوزة وهي لايوجد بها نظام الفقرات تتميز بقرب مياهها الجوفية من السطح حيث توجد المياه على عمق أربعة أمتار وهذا ما شجع على حفر العديد من الأبار[2].

منطقة تيميمون: هي عاصمة التينجورارين وأهم مدنها، اعتبرها عبد الرحمان بن إدريس التنلاني قاعدة قرى قورارة تتوزع على جانبي تيميمون قصور منها :بادريان ، ماسين، بابا عدة، تاغيارت، سموتة، اومراد، تلالت، قصبة الكاف، بني هلال، زاوية سيدي الحاج بالقاسم ، الواجدة .[3]

منطقة أولاد سعيد: تعتبر من أقدم مقطعات تيكورارين تضم عدة قصور أهمها القصر الكبير الذي يبعد بحوالي عشر كيلومترات عن قصر الحاج غلمان ولهذه القصور أهمية من الناحية الاقتصادية[4].

منطقة اوقرت:ذكر العياشي اوقرت باسم اوكرت. وقال " وهي كثيرة ذات نخيل جم،وهي معدودة من بلاد تيجوارين "[5]، ومن قصورها نذكر: أولاد محمود، اقسطن، البركة، تالة، تنقلين.

---

[1]-احمد أبو سعد ،المرجع السابق، ص 4.

[2]-حوتية محمد، توات الموقع الجغرافي و الأهمية التاريخية، محاضرة ، جامعة ادرار ، ص 2 .

[3]-أحمد أبو سعد، المرجع نفسه، ص 5 .

[4]- نفسه، ص 5 .

[5]-أبو سالم العياشي، ماء الموائد، ج 1، دار الغرب ، المغرب، (د.ط)، 1977 ، ص 81 .

منطقة المطارفة: توجد قصور المطارفة بمحاذات الاوقروت وهي بلاد ذات رمل، و من قصورها : أولاد محمود، أولاد راشد ، أولاد علي، الساهلة، كبرتن[1].

ب. توات الوسطى: تقع مابين نهايات الهضبة العلية للقرارة التي تكون الحافة الترقية لوادي مسعود والخاصة المقابلة له المسماة العرق الغربي فتوات العليا تبدأ من أعالي المقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فاخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رقان[2]، تتمثل على سلسلة مترابطة من المناطق أهمها مايلي:

منطقة بودة: ترتكز هذه القصور في واد مواز لواد مسعود بحوالي أربعين علم شرق قصور تيمي، وتنقسم إلى مقاطعتين بودة (العليا) وبودة (السفلة) ،ووصفها ابن بطوطة فى قول: "من اكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب" تضم عدة قصور منها"ابنيلو، بن دارعو، الغمارة، القصبة، المنصور، بن وزال،أولاد أعيش[3]

منطقة تمنطيط: تعتبر من أهم مدن توات وأكثرها شهرة على الإطلاق العاصمة الخالدة للإقليم، تقع في منطقة توات الوسطى يحدها من الشمال مقاطعة تيمي و من الجنوب قصور بوفادي[4]. و قد وصفها ابن خلدون في قوله: "...وفيه قصور متعددة تناهز المائتين...وهو بلد مستجر في العمران "[5] ، تظم خمس عشرة قصرا منها القصبة

1 -أبو سالم العياشي، ج 1، المصدر السابق، ص 81 .

[2]-حوتية محمد، المرجع السابق، ص 3 .

[3]-ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 279 .

[4]-مبارك بن صافي الجعفري، المرجع السابق، ص.ص 53،54 .

[5]-ابن خلدون، ج 7، المصدر السابق، ص 77 .

أولاد الحاج المامون، وأنكير، وبالحاج، ثلاثة منها عبارة عن حصون متصلة بينها[1].

منطقة تيمي: هي اكبر مقاطعات المنطقة وتعتبر مدينة ادرار عاصمة الإقليم و مركزه، وتظم هذه المقاطعة سبعة وثلاثين قصرا منها : وينة[2]، وتنلان[3]، وبوزان، وباريع سيدي المهدي ، و باريع سيدي التاقي، وأولاد عيسى [4]، وباريع المرابطين ، و زاوية كزاز، وكوسام، وأولاد علي، وأولاد احمد، أولادإبراهيم، وأقبور والمهدية [5].

فنوغيل: كلمة بربرية تعني باللغة العربية آثار الذراع، (فنو) آثار و (اغيل) الذراع[6] تقع غرب بوفادي تنتشر في منخفض واسع مواز لواد مسعود [7]، تضم 14 قصرا : تسفاوت، أعيانب، العلوشية، ودغة، بني هني، المنصور، مكرة[8] قصبة أولاد مولاي بوفارس، زاوية سيدي عبد القادر، أبا عمر[9].

---

[1]-عبد الله حمادي الإدريسي، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع السوداني، المرجع السابق ،ص 170 .

[2]-وينة : ينسبون إلىأهل برينكان و يرجع نسبهم الى تافيلات . انظر : خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 111 .

[3]-تينلان : تقع شمال مدينة ادرار ، أسسها الشيخ سيدي احمد بن يوسف التنلاني عام 1058ه/1648م و بها زاويته المشهورة . انظر: عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من إخبار علماء توات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط.1، 1985م،ص 46 .

[4]-أولاد عيسى : بعضهم شرفاء ينحدرون من سيدي سليمان بن عمر من فتس و بعضهم أولاد سيدي احمد العروسي من الساقية الحمراء من الساحل . انظر : خير الدين شترة ،المرجع نفسه ،ص 112 .

[5]-المهدية : سكانها من أبناء سيدي احمد بن يوسف الملياني . انظر :المرجع نفسه ، ص 112 .

[6]-الشيخ محمد باي بالعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، مج 1 ،المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، الجزائر،(د.ط)، 2011، ص 62 .

[7]-حوتية محمد، المرجع السابق، ص 34 .

[8]-مكرة : كلمة بربرية تعني باللغة العربية الأرض الصفراء . انظر: محمد باي بالعالم ، المرجع نفسه، ص 62 .

[9]-نفسه، ص 62 .

بلدية زاوية كنتة : تقع جنوب قصور تامست الحافة اليسرى لواد مسعود[1]، قصورها 17 قصرا : مكيد، أدرار، شباني، زاجلو، البيض، أولاد الحاج، تبركان، زاوية كنتة، لمناصير، بوعلي، آضوى[2].

ج-تيديكلت: توجد تيديكلت بين توات الأصل غربا وهضبة تادميت شمالا وهضبة مويدر جنوبا، يخترقها وادي (آقرابا) الذي يصب في واد مسعود نحو الجنوب الغربي،[3]تضم 21 قصرا من قصورها : الشويطر، أقبور، لكحل، مليانة، السبخة، عين صالح،[4] قصر العرب، البركة، حاسي لحجار، نقارة العرب[5].

ثالثا:المناخ و التضاريس

المناخ: يسود توات المناخ الصحراوي الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة صيفا و البرودة شتاء إذ تكون نسبة تساقط الأمطار سنويا لا تزيد عن خمسة و عشرين ملم[6]. يقول فرج محمود فرج : " توات أرض ذات سباخ ، كثيرة الرمل والرياح ، لاتحيط بها جبال وأشجار ، شديدة الحرارة "، وهذا ما يجعل السنة تتكون من فصلين أحدهما بارد من ديسمبر إلى فيفري باقي الشهور تتميز بارتفاع درجة الحرارة و تصل إلى خمسين درجة مئوية [7] . و ابن خلدون يقول : " هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية

[1]-حوتية محمد، المرجع السابق، ص 34 .

[2]-محمد باي بالعالم ، المرجع السابق، ص 63 .

[3]-حوتية محمد، المرجع السابق، ص 35 .

[4]-عين صالح : تقع في منحدرات هضبة تادميت على بعد خمسين كلم شرق اينغر و ثلاثمائة و ثمانين كلم جنوب غرب المنيعة . انظر: محمد حوتية، ج 1 ، المرجع نفسه، ص 36 .

[5]-محمد باي بالعالم، المرجع السابق، ص 67 .

[6]-حوتية محمد، المرجع نفسه ، ص 45 .

[7]-Deveors. Le touatetude .jeojraplique et medicale .alher. Lustitutpastzur . 1947. P 230.

لا توجد في تلول المغرب ، و ذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى "[1] و أيضا وصف الرحالة الألماني جيرار رولف (gerardrollfs) : " الحرارة مرتفعة في فصل الصيف و تصل إلى أربعين درجة تحت الظل من التاسعة صباحا إلى الرابعة مساء بينما يسود الليل اعتدال في الطقس " .[2] أما الرياح الجافة فتهب بالإقليمين باتجاه الشمال الشرقي ، فهي خفيفة تتحول إلى زوابع تدفع أمامها الرمال و تنقلها من مكان الى آخر فتمحوا معالم الطريق و تغطي بساتين النخيل و تزحف إلى المساكن [3] . و قد ترتب على هذا النوع من المناخ ظهور حياة نباتية فقيرة تتكون من أنواع يمكنها تحمل الجفاف الشديد ، فمن هذه النباتات قصير العمر حيث لا تزيد دورة حياته عن الشهر فهو ينمو عقب سقوط الأمطار مرة أخرى فينموا من جديد [4]، ومن أهم النباتات : البسط وهو نبات شوكي ينمو غالبا في منحدرات العرق يأكله الغنم و الجمل [5]، وهناك نبات الفرسيق : وهو شجرة متوسطة الطول تنمو بجانب السباخ والمناطق الرطبة تأكلها الجمال بكمية قليلة و تستعمل للتسخين و يستخرج منها القطران إضافة إلى أنواع أخرى منها : الردمان، دراق النوم ، أوراش[6]، أما ابتداء من خط عشرة درجة شمالا فتظهر حشائش السفانا[7].

---

[1]-ابن خلدون، ج7، المصدر السابق، ص77.

[2]- Victor adolphe malte brum. Resumehutoriqe et geographique de lexploration de gerardrohlfs. Paris. Challamel. 1866.p102.

[3]-حوتية محمد، ج 1، المرجع السابق ، ص 46 .

[4]- Louis voinot . le tidikelt sur la geographielhistoire et les mœurs du pays buiietin de societe de geographie et darcheologie de la provivceaoran .t 29 .1909 . pp 204_206 .

[5]-خير الدين شترة، المرجع السابق، ص 83 .

[6]-حوتية محمد، ج 1 ،المرجع السابق ،ص 47 .

[7]-السفانا : هي من الأنواع الخشنة ذات الأوراق النصلية الطويلة تبدأ في النمو بمجرد حلول فصل المطر بداية من شهر سبتمبر يتراوح ارتفاعها ما بين مترين أو أربعة أمتار . انظر : حوتية محمد ، المرجع نفسه ، ص 47 .

التضاريس: تعد البلاد واقعة في قلب الصحراء فإن المنطقة تحمل نفس الخصائص الطبيعية والتضارسية للوسط الصحراوي .

حسب المميزات الجيولوجية يمكن ان نلاحظ أن منطقة توات لها رواسب فيضية ترجع للزمن الرابع [1]،وحسب الخارطة الجيولوجية التي أعدها إميل فيليكس غوتي(emile.f.gautier)[2] يمكن أن نصف البنية الصخرية لتوات وفق مايلي :

صخور قديمة تعود الزمن الأول و هي التي تكون القاعدة السفلى للطبقات الرسوبية التي تكونت عبر الأزمنة الجيولوجية التي تلت الزمن الأول، و تظهر هذه القاعدة أحيانا على السطح خصوصا بمنطقة الخطوط الإنكسارية مثل الخط الإنكساري الغربي الممتد على حوض واد الساورة و الخط الإنكساري الشرقي الذي يمتد جنوب شرق العرق الكبير الذي يظهر جنوب توات [3].

صخور الزمن الثاني، أو ما يسمى بالعصر الكريستاني الأوسط، الذي يظهر بشكل واسع على الجانب الشمالي والشمالي الغربي للخط الإنكساري الشرقي ما بين تينجورارين غربا إلى شمال شرق منطقة لحمر[4].

صخور الزمن الرابع التي تظهر بالسبخة الواقعة شرق تسفاوت وبعض النقاط المحدودة جدا، وخذه معظم الصخور البنية السطحية التي تتكون منها منطقة توات و التي

[1]-حوتية محمد ، المرجع السابق، ص 43 .

[2]-. Gautier emile.f.lesaharaoranais .paris .a.colin . 1903 . p 235

[3]-خير الدين شترة، المرجع السابق ،ص 81 .

[4]-نفسه ، ص 81 .

تغطي تضاريس متنوعة ذات مميزات صحراوية، أهمها العرق الذي يمتد بشكل واسع في القسم الشمالي لتوات من الغرب إلى الشرق [1].

الأودية في توات: يوجد في إقليم توات ثلاث أودية من جهات متباينة تصب مياهها في رماله وهي: وادي مقيدن، وادي مسعود، وادي قاريت.

وادي مقيدن: هو امتداد لواد سفور من نـــواحي المنيعـــة و ينتهـــي فـــي منطقـــة تينجورارين مشكلا سبخة، تعرف بسبخة تينجورارين[2].

وادي مسعود:يتكون من إتحاد وادي قير مع وادي زوزفانة، يتجه نحو الجنوب وهنا عند مشارف قرية أقلي هو أول قرى وادي الساورة بالجنوب الغربي الجزائـــري، وهـــذا الأخير يجري نحو الجنوب إلى مشارف بلاد توات، وبالتحديد عند قصر تاسفاوت، و هنا تسمى وادي مسعود [3]، وقال ابن خلدون في رحلته إلى وادي مسعود : " و ينبع مع هـــذا النهر فواته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى قبلة ويقطع العرق إلى أن ينتهي إلى بودة ثم بعدها إلى تمنطيط "[4].

وادي قاريت: ينطلق من الشمال الشرقي لتيدكلت عابرا بعض أجزاء المنطقة ليصب مياه بجهة الجنوبية الغربية للإقليم، يصل نهايته لوادي مسعود[5].

---

[1]-حوتية محمد، ج 1 ،المرجع السابق ،ص 44 .

[2]-مبارك بن الصافي جعفري ،المرجع السابق ،ص 34 .

[3]-عبد الله حمادي الإدريسي ،الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي و تصديه للخطر اليهودي بصحراء تـــوات و الصـــقع السوداني ،المرجع السابق ،ص 204 .

[4]-ابن خلدون ،ج 6 ، المصدر السابق، ص 134 .

[5]-عبد الله حمادي الإدريسي ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي و تصديه للخطر اليهودي بتوات و الصقع الســـوداني ، المرجع السابق ،ص 2 .

الهضاب: تعد الهضاب من المكونات الرئيسية للطبيعة التضارسية بمنطقة توات، ومن أهمها هضبة تادميت التي تتوضع على سفحها كل قصور توات، إضافة إلى هضبات صغيرة تكونت إثر عملية الحت التي يسببها السيلان القوي لوادي مسعود في الأزمنة الغابرة [1].

العروق: ومن أهمها العرق الغربي الكبير الذي يأخذ أجزاء كبيرة من منطقة تينجورارين، و العرق الشاش يحاذي قصة توات الوسطى من جهة الغرب[2].

الرق: هي مناطق مستوية السطح قليلة الارتفاع كثيرة الحصى والرمال وهي خالية من مظاهر الحياة تعرف باسم السهول الصحراوية [3]، وتنتشر الرقوق في منطقة توات وعموم الصحراء الكبرى الإفريقية، وأوسع رق في توات هو رق تنزروفت جنوب منطقة رقان[4].

السبخة: وهي التي مثلت فيما مضى أحواض تجمع الأودية التي كانت شديدة الجريان، فتكونت بفعل ذلك سباخ شديدة الملوحة من أهمها : تيمي، تمنطيط، سالي، تيمادنين، حيث منتهى وادي مسعود[5]

رابعا: أصل السكان

---

[1]-عبد الرحمان بعثمان ،القضاء في منطقة توات خلال القرنين 18/17م ،رسالة دكتوراه ،تاريخ الحضارة الإسلامية ، جامعة احمد بن بلة ،وهران ، 2015-2016 ، ص 71 .

[2]-مبارك بن صافي ،المرجع السابق ،ص 33 .

[3]-الهادي قطش ،أطلس الجزائر و العالم ،دار الهدى ،(د.ط) ،2013 ، ص 35 .

[4]-عبد الرحمان بعثمان ، المرجع السابق ،ص 71 .

[5]- Martin.a-g-p.oiatresieclesmiaroimes .éctitionorigimalelibroiriefetixalcan . paris 1923 .p.p .8-10 .

البربر : هم السكان الأصليين الذين اختطوها بعد الإسلام وهم من الزناتة [1]، ويقول ابن خلدون في تعريفه للإقليم توات " وطن توات فيه قصور متعددة تناهز الثلاثمائة ... وهو ركاب التجار إلى مالي و بينه و بين مالي المسي غارة المفازة المجهلة لا يتعدى فيها السبيل ولا يمر الوارد إلا بدليل ... " [2]، ويؤكد ابن خلدون من خلال هذه الرواية أن أولى القبائل البربر التي استوطنت المنطقة كانت صنهاجة و الحجة في ذلك أن أغلب تسمية قصور التواتية جاءت بلغتهم و كان شغلهم الغالب بها هو الزراعة وقد أقامت في بادئ الأمر مخيمات وأطواقا من الحجارة لتخزين الأملاك وحفظ الماشية[3].

العرب : هم المكون الثاني من مكونات المجتمع التواتي بعد البربر التي استوطنت الإقليم و قد نزحت في موجات بشرية متباعدة الأزمنة منذ القرن السابع هجري بهدف الاستقرار ، حيث كانت لهم علاقات سابقة بالمنطقة كالمعاملات التجارية و السياسية و كان أول من وصل منهم هم عرب المعقل الذين كانت تنتهي بهم رحلة الرعي في فصل الشتاء بتوات[4]، و كان النشاط الغالب على العرب هو الزراعة بحيث شقوا الأبار وزرعوا الأراضي، كما مارس البعض منهم التجارة مع السودان والأقاليم الشمالية فانتعشت على

[1]-زناتة : تم توافد القبائل الزناتية من مغوارة و بني يفران على توات بصفة تدريجية منذ القرن السادس هجري بعد أن تغلبت خصومها من لمتونة على بلاد المغرب و كان نزولهم على توات عام 501ه و من بينهم أولاد عياش عام 502ه و أولاد خير الله عام 516ه و أولاد بني سليمان عام 531ه. انظر: بهية بن عبد المؤمن ، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18 و 19م ، مذكرة ماجستير، التاريخ الحضارة الإسلامية ، 2006/2005م ، ص.101 .

[2]-ابن خلدون،المصدر السابق، ص 68.

[3]-عبد الله عباس، الدور الحضاري للإقليم توات و تأثيراتها في بلاد السودان الغربي من القرنين 9 و10ه/ 15 و 16م ، مذكرة ماجستير ،تاريخ الوسيط ،جامعة الجزائر ،2011م ،ص 42 .

[4]-ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 72 .

أيديهم الحياة الاقتصادية و كان لهم الدور الفعال في مختلف القضايا الاجتماعية والدينية والثقافية [1].

الزنوج : إلى جانب العنصر البربري و العربي استقر في الإقليم التواتي العنصر الزنجي ، حيث استوطن هؤلاء الزنوج في الإقليم على فترات متعاقبة وفي ظروف مختلفة وبعد امتزاج هذه العناصر الثلاث على مر الزمن أصبح المجتمع التواتي مجتمعا موحدا في العادات و التقاليد، و قد حرم الفقهاء التواتيين ببيعهم و التسري بنسائهم على اعتبار أنهم أحرار وكانت أوضاعهم الاجتماعية في بداية وجودهم سيئة للغاية[2]، كانت لهم أحياء خاصة بهم ثم شيئا فشيئا أصبحوا يشكلون شريحة هامة في مجتمع التواتي خاصة بعد اعتناقهم الإسلام، وكان الشيخ المغيلي أثناء سفره إلى فاس أخذ معه ستة مماليك كلهم يحفظون المدونة [3].

الحراثين : وهم لا يمثلون جنسا بشريا جديدا أو عرقا دخيلا على المنطقة بل هم نتيجة امتزاج الزنوج بالعرب والبربر فهم أولادالأحرار من الجواري[4]، ويقصد بالأحرار هنا العرب والبربر والبربري حين ذاك كان يريد الحفاظ على طبقته الاجتماعية[5]، وتسميتهم جاءت مرتبطة بطبيعة المهنة أو الحرفة التي تميزوا واشتهروا بها و هي زراعة النخيل في الواحات والهجين هو الذي يحرث الأرض ويخدمها فسمي بالحراث التي مجموعها الحراثين و يتميزون بسمرة البشرة إلى حد السواد ولا يمتازون بصفات

---

[1]-. Rottier (R) histoire du sahara nouvelles editionslations .baris ;1947. P 66

[2]-محمد عبد الكريم المغيلي ،مصباح الأرواح في أصول الفلاح ،المصدر السابق ،ص 18 .

[3]-محمد عبد الكريم المغيلي، المصدر نفسه، ص 19 .

[4]-نفسه ،ص 18 .

[5]-خير الدين شترة ،المرجع السابق ،ص 109 .

خلقية خاصة تميزهم عن باقي المجتمع، ومن المهن التي اختصت بها هذه الشريحة غرس الحدائق، ومع مرور الزمن ازداد عددهم بشكل كبير[1].

اليهود : لم يعد اليهود مكونا فاعلا قائما بذاته خلال القرن 12ه ولعل الدافع التجاري كان اقوي العوامل التيأوجدت هذه الفئة بالإقليم، وذلك بعدما أصبحت الطريق الغربية التي تربط منطقة السوس بمنطقة السوس بمملكة غانا غير آمنة فاضطر اليهود إلى التوجه إلى توات حيث نزلوا بتمنطيط وتحفيق وتاسفاورت وتازولت غير أن شوكتهم علت بتمنطيط وسيطروا علي تجارة الأسواق[2]، وكان لهم بتمنطيط حي خاص بهم ولما أدركوا أن السكان بتوات يتعاملون معهم بحذر لكونهم أهل ذمة ادعت طائفة منهم الإسلام و لقبوا بالسلمانيين أو المهاجرية، وامتنعوا عن مصاهرة القبائل الأخرى أوالامتزاج بها[3]، وربما كان اعتناقهمالإسلام بدافع الحفاظ على مصالحهم، وتذكر بعض الروايات التواتية قصة ذلك اليهودي الذي كان يصلي بالناس في إحدى مساجد تمنطيط من غير وضوء و كان يرش المسجد بالنجاسة [4].

الفرس " البرامكة ": استقرت أيضا ببلاد التواتية القبائل العجمية فارسية الأصل وهم مسمون بالبرامكة[5]، وقصتهم الشهيرة في تاريخ الدولة العباسية حيث نقم عليهم الخليفة هارون الرشيد حيث كان أعيانهم قد تولوا الوزارة بالدولة يومها فمن قبضوا عليه كان مصيره الهلاك ومن نجو منهم تفرقوا هاربين في البلاد ومنهم هذه الطائفة التي وصلت

---

[1]-خير الدين شترة ،المرجع السابق ،ص 110 .

[2]-عبد الله حمادي الإدريسي ،الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني ،ج1، مرجع سابق ،ص 424.

[3]-مبارك الصافي الجعفري، المرجع السابق، ص 47.

[4]-فوزي سعد الله ،المرجع السابق ،ص 70 .

[5]-عبد الله حمادي الإدريسي ،الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني و تصديه للخطر اليهودي و الصقع السوداني، ج 1 ،المرجع السابق ،ص 425 .

من بلاد المشرق إلى بلاد توات سنة 656ه/1258م كما ذكره صاحب درة الأقلام وهم أنصار الشيخ المغيلي التلمساني ببلاد التواتية وهم من أزلهم بداره وزاويته بوادي بوعلي بتوات الوسطى[1].

1) **المرابطون:** هذه المصطلح يشمل عدة أجناس عربية نبيلة ومنهم :

ذرية صحابة الرسول صل الله عليه وسلم كالبكريين من ذرية سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه كأولاد سيدي الشيخ عبد القادر السماحي والعماريين من ذرية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه[2]،

الرقاقدة أهل زاوية كنتة[3]، وقيل هم الأمويين القريشيون وأنصار من الأوس والخزرج من ذرية أنصار الرسول صل الله عليه وسلم أهل المدينة المنورة آل بيت الرسول صل الله عليه وسلم من بنته سيدتنا فاطمة الزهراء كالعباسيين من ذرية سيدنا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صل الله عليه وسلم والجعفريين من ذرية سيدناجعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول صل الله عليه وسلم[4].

2) الأشراف: هم آل بيت الرسول صل الله عليه و سلم من حفيديه الحسن و الحسين ابني سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها و زوجها سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صل الله عليه و سلم [5] و منهم :

---

[1]-عبد الله حمادي الإدريسي ، الفوات من تاريخ توات و صحاري الجهات ،ج 2 ،المرجع السابق ،ص 138 .

[2]-نفسه ،ص 137 .

[3]-كنتة : الشيخ مختار بن أبي بكر الكنتي نسبه متصل بعقبة بن نافع الفهري الصحابي الذي فتح بلاد المغرب ، انظر : احمد بن أمين الشنقيطي ،الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ،القاهرة ،ط.1 ،1329ه/1911م ،ص 356 .

[4]-عبد الله حمادي الإدريسي ، المرجع السابق ،ص 140 .

[5]-فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص 46 .

الأشراف الأدارسة: وهم من ذرية بني فاس ومؤسسها المولى إدريس الأصغر ابن إدريس لأكبر بن عبد الله الكامل، وقد اصطلح في بلاد توات على تقديم ذكر اسأميهم بكلمة سيدي أو مولاي[1].

. **الأشراف العلويين:** هؤلاء اشتهروا بهذه التسمية مع أن الأشراف الأدارسة هم أيضا علويين مثلهم إذ كلهم حسنيون من ذرية سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2] ، إلا أن هؤلاء الشرفاء اشتهروا بالنسبة العلوية نسبة إلى ملوكهم اليوم بالمغرب الأقصى، و هو الولي الصالح مولاي علي الشريف بصحراء المغرب[3].

. **الأشراف القادريون**وهم بني مولانا عبد القادر الجيلاني دفين بغداد وهو من حفيد سيدنا موسى أخ المولى إدريس الأكبر جد الشرفاء الأدارسة [4] .

المبحث الثالث: أوضاع إقليم توات

الأوضاع السياسية:

التنظيم الإداري للإقليم : المدينة أو القصر التواتي كان قد انشأ في الأصل لنزول أفراد القبيلة الواحدة ولذلك كان بمثابة وحدة إدارية مستقلة له إمكانيات اقتصادية وإدارية و دفاعية، وعلى هذا الأساس يتمكن سكانه من الاعتماد على هذه الإمكانيات الذاتية وقت السلم و الحرب معا، كأشجار النخيل لايخلو منها مدينة أو قصر[5]، والمنازل مجمعة في نقطة واحدة يحيط بها سور خارجي وهو سور ذو أبراج مقامة على جوانبه الأربعة،

---

[1]-عبد الله حمادي الإدريسي ،الفوات من تاريخ توات و صحاري الجهات ،ج 2 ،المرجع السابق ،ص 142 .

[2]-نفسه ،ص 144 .

[3]-نفسه ،ص 146 .

[4]-مولاي إدريس بن احمد الفضيلي ،الدرر البهية و الجواهر النبوية ،ج 1 ،وزارة الأوقاف ،الرباط ،(د.ط)،1999،ص 139 .

[5]-. Depouter . la question du toiatesaharaalgerien .alger .1991 . p 40

بحيث يستطيع الأهالي الدفاع عن بلدتهم من وراء هذه الأسوار ومراقبة أعدائهم من فوق الأبراج المحصنة فشيخها له مطلق الحرية في إدارة شؤونها، يساعده رؤساء الأحياء ومجالس البلدة أما شؤون الأهالي وإقامة شعائر الدين فيصرفها عدد محدود من الموظفين تحت إمارة شيخ البلدة[1]، ومن مجموع المدن والقصور المجاورة تتكون المقاطعة التي هي عبارة عن وحدة إدارية أكبر من الأولى يشرف عليها شيخ المقاطعة الذي يتخذ مركزه في أكبر قصورها من حيث إمكانياتالاقتصادية العمرانية والسكانية، وقد بلغ مجموع المقاطعات التواتية ثماني وعشرين مقاطعة موزعة على المناطق الثلاث وهي توات، قورارة تيدكيلت، وغالبا ماتكون مقاطعة المنطقة الواحدة متجاورة ولا تبعد الواحدة عن الأخرى بأكثر من عشرين أو ثلاثين كلم، وتأتي منطقة توات في المقدمة من حيث الأهمية عن باقي المناطق الأخرى فهي قلب الإقليم ومركز نشاطه، ومن مجموع سكان الإقليم البالغ عددهم حوالي 225 ألف نسمة، يسكن منطقة توات حوالي 120 ألف نسمة ويتمركز معظمهم بمقاطعتين تيمي وتمنطيط[2].

الهيئة الحاكمة : عرف آهل توات نظاما إداريا يتفق مع نظامها القبلي القديم الذي كان عليه قبل نزولهم بالمدن والقصور التي شيدوها واستقروا بها فشيوخ القبائل أصبحوا شيوخا بالمدن و القصور والمقاطعات ومجلس القبيلة صار مجلس البلدة، وما زاد سكان البلدة و كثرت إحيائهم استلزم الأمر بتعيين أعوان للمشايخ لمساعدتهم الى جانب عدد محدود من الموظفين لتنظيم وتصريف مصالح السكان اليومية والسهر على أداء الشعائر

---

[1]- Depourter . p 41 .

[2]- Malte brim .resume historique et geographigie de lexplortion de eserhardrolvs a touate et i bnsalah .paris .1866 . p 96 .

الدينية، فرغم بساطة الجهاز الإداري عندهم إلا انه كان يضمن لهم حياة منتظمة وشعورا بالأمن والطمأنينة على حياتهم وزراعتهم وتجارتهم[1].

ولم ين لوجود عن سلطان المغرب (الباشا) بإقليم توات أي تأثير على هيئتهم الحاكمة و كيفية إدارتهم لإقليمهم، فماهمه كانت محدودة ولا تتعدى فرض وجمع الضرائب من شيوخ المقاطعات في كل موسم زراعي وعليه أن يرسلها إلى حكومة المخزن و كان مقر الباشا هو مدينة تمنطيط، وكما جرت العادة والتقاليد عند التواتين فإن شيخ أكبر المقاطعات كان يعتبر في نفس الوقت شيخا للإقليم ومن صلاحيات شيخ الإقليم استقباله الوفود و المبعوثون في مهام رسمية وغير رسمية والتي تصل الإقليم، وكان عليه استسلام الخطابات المرسلة من السلطان والرد عليها،وكان شيخ الإقليم يتمتع بنفوذ قوي في الداخل بصفته أقوى و يحرص الجميع على أخذ رأيه[2]، كما كان شيخ المقاطعة يعد بمثابة الحاكم الفعلي وصاحب السلطة المطلقة و سلطته سلطة مطلقة لا حدود لها، وله مهام يقوم بها وقت السلم و الحرب و من مهامه إن يرسل ما جمعه من الضرائب إلى ممثل السلطان بعد الاحتفاظ بنسبة معينة في بيت مال المقاطعة للاعتماد عليها وقت الحاجة[3].

يعتبر شيوخ المدن والقصور داخل المقاطعات بمثابة الجهاز التنفيذي للمقاطعة و يمارس شيخ البلدة سلطته طبقا للعرف والتقاليد الاجتماعية الموروثة والتي تتمشى مع التعاليم الإسلامية ومعه رؤساء الأحياء ومجلس الجماعة ومجلس جماعة البلدة، يتكون من كبار القوم وأعوان الشيخ وكان يطلق على الواحد من أعوان الشيخ اسم (الدهمان) و

---

1. -Malte brum. p 97 .

2. -فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص 36 .

3. -نفسه ،ص37

نظرا لمكانة تطلبه الحياة اليومية داخل البلدة من أشراف وتنظيم على النواحي الاقتصادية و التعليمية والدينية ولضمان سير هذه الأمور في مجراها الصحيح اقتضى الأمر بتعيين عدد محدود من الموظفين وأصبح الجهاز الإداري يتكون من الوقاف وكيال ماء والبراح، بالإضافة إلى الذين يشرفون على التعليم وإقامة شعائر الدين وهم إمام ووكيل المسجد و المؤذن[1]، فالوقاف هو رجل الشرطة والمخابرات في البلدة وبعده يأتي كيال الماء ووظيفته من أقدم الوظائف ويعد هذا الخير مهندس البلدة لأنه هو الذي يتولى تحديد أنصابه للأفراد من ماء الفقارة ويأتي في الدرجة الثالثة البراح (المنادي) هو مذياع البلدة فطريقته يعلم سكانها بكل ما جرى أو سيجري في البلدة، فهو ينادي في الأسواق والتجمعات العامة، وفي مقدمة الموظفين الذين يشرفون على أمور الدين والتعليم يأتي وكيل المسجد فهو يختص بالإشراف على الأملاك والأموال الموقوفة، ثم يأتي أمام المسجد فإنه يقوم بتعليم أبناء البلدة وإقامة شعائر الدين وإمامة المصلين في الأوقات الخمسة، بالإضافة إلى وظيفة المؤذن يقوم بالأذان و الصلوات الخمس اليومية [2] .

الأوضاع الاقتصادية: كان يجب على الإنسان التواتي الاعتماد على نفسه لكسب قوته و من خلال دراستنا لمنطقة توات من الجهة الاقتصادية هناك ثلاثة أنشطة يمارسها الإنسان:

الزراعة: تعتبر الزراعة أهم مورد اقتادي لسكان توات فكانوا بواسطتها يلبون حاجياتهم اليومية ومن أهم المزروعات التواتية :

[1]- Deporter., p 30

[2]-فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص 39 .

زراعة النخيل: هناك أنواع مختلفة من التمر ولكل منطقة أنواع تشتهر بها من بينها أحرطان تليمسو، بمخلوف، تقازة، لدهم، تنقور، تزرزاي، تقربوش، أغراس[1].

نجد الإنسان التواتي يعرف أدق التفاصيل عن النخلة كما انه يعتمد عليها في حياته اليومية فالتمر غذاؤه الأساسي، والحطب للتدفئة والطهي، والجذور لتسقيف البيوت[2]، كما وصف الرحالة ابن بطوطة وصف تمر بودا بالكثير لكن ليس طيب[3].

زراعة القمح: تحتل هذه الزراعة المرتبة الثانية بعد غرس النخيل و يزرع القمح في مختلف مناطق الإقليم، بالإضافة إلى ذلك زرع الشعير، الأرز، الذرة، الحناء، التبغ، القطن...[4]

نظام الري بالمنطقة: اعتمد سكان المنطقة على الفقارة[5]، وهي آلة السقي الأولى في المنطقة، وقيل أنها مأخوذة من التفجير لأن العين تتفجر بداخلها، كما قال الله تعالى " فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا"[6]، فقلبت الجيم قافا معقودة وتحولت إلى التفقير ومنه جاءت الفقارة [7].

---

[1]-حوتية محمد ،ج 1 ،المرجع السابق ،ص108 .

[2]-مبارك بن صافي الجعفري ،المرجع السابق ،ص 93 .

[3]-ابن بطوطة ،المصدر السابق ،ص 407 .

[4]-حوتية محمد ،ج 1 ،المرجع السابق ،ص 115 .

[5]-الفقارة :هي مجموعة من الأبار المتسلسلة و المتصلة ببعضها البعض بطريقة تصاعدية و تصب في البساتين وفق نظام سقي عجيب و دقيق جدا .انظر : أحمد أبي صافي الجعفري ،من تاريخ توات أبحاث في التراث ،منشورات الحضارة ،بئر توتة الجزائر،(ط.1)، 2011 ،ص 191 .

[6]- البقرة ،الآية 60 .

[7]-مبارك بن صافي الجعفري ،المرجع السابق ،ص 89 .

الصناعة: اشتهرت توات بالكثير من الصناعات وذلك حسب توفر المنطقة على مواد أولية المتوفرة لديهم، ومن هذه المواد نذكر:

النجارة: تعتبر جذور النخيل هي المادة الأولية لهذه الصناعة و من بين المصنوعات نجد : الأبواب، النوافذ، الأقفال، القفاف، القيود، الحبال، وأيضا الكثير من الأدوات المنزلية كالمراوح اليدوية، الحصائر، الصناديق الخشبية، الأطباق...[1]

صناعة الجلود: استخدمت جلود الحيوانات كالإبل والماشية في الكثير من الصناعات كالقرب التي تستخدم لحفظ الماء واللبن أو تغليف الكتب[2]،أيضا الإسكافيون يصنعون مختلف أنواع الأحذية والأرائك وأغمدة السيوف [3].

صناعة الحلي الفضية:

وهي من الحرف التي اشتهر بها أهل تمنطيط فهم يصنعون الأساور والخواتم والخلاخل وللأساور ثلاثة أنواع :ادبلز لحرش[4]، ادبلز الملس[5] انبل[6].

صناعة السعف: وهذا بتحويل مشتقات النخيل إلى مواد ولوازم ذات استعمال يومي فاستعملوا الليف لصناعة الحبال والخيوط وتستعمل خيوط الليف كأيدي للقفف كما تصنع منه الغرارة [1].

---

[1]-مبارك بن صافي الجعفري ،المرجع السابق ،ص 96 .

[2]-نفسه ،ص 97 .

[3]-حوتية محمد ،ج 1 ،المرجع السابق ،ص 137 .

[4]-ادبلز لحرش : هو عبارة عن أنبوب مقعر و مقوس كالحلقة و مزين بخيوط عبارة عن مستطيلات مزخرفة و كريات صغيرة . انظر : عبد الله حرمه ،المرجع السابق ،ص 164.

[5]-ادبلز الملس: يتميز بكونه ذا زخرفة مغايرة فخيوطه مزركشة باللون الأسود انظر: عبد الله حرمة، المرجع نفسه،ص 164

[6]-آنبل: هي قطعتين مشدودتين مزينتين بالفضة وهو اغلي الأساور ثمنا انظر: حوتية محمد،المرجع السابق ،ص 138

الحدادة: كان في كل قصر صانع أوأكثر يزاول مهنة الحدادة، وكان من أهم الأعمال التي يقوم بها لصيانة الآلات اليدوية الزراعية مثل : المنجل، الفأس، حدوات الدواب، كما يساهم أيضا في بناء وصيانة سور البلدة كلما دعت الضرورة لذلك[2].

التجارة: لعبت التجارة دورا هاما في الحياة الاقتصادية لسكان توات فالأسواق تعد القلب النابض لها وقد تنوعت المسالك التجارية فهناك تجارة داخلية وخارجية .

التجارة الداخلية: من أهم الأسواق نذكر سوق مدينة تميمون حيث كان أهمأسواق مقاطعة قورارة فقد تنوعت تجارتها من عبيد، ريش، نعام، العاج، اللحوم المجففة والجلود، التمور، الحنة، والمصنوعات اليدوية كالبرانس ،الأغطية وأيضا هناك سوقي مدينة تمنطيط وادرار، و سوق مقاطعة رقان في أقصى جنوب المنطقة[3].

التجارة الخارجية: أصبحت أسواق توات تجذب قوافل الحجاج العابرة للصحراء في طريقها إلى الأراضي الحجازية ، غالبا ما تشتري حاجتها من المؤن من الأسواق التواتية . ويقول العياشي "... أن الكثير من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلات اخذوا الصرف إلى توات الآن الذهب فيها ارخص و كذلك سعر القوت من الزرع والتمر ... " [4].

وقد سلك التجار الطرق الصحراوية ومن أهم هذه المسالك نذكر : محور مراكش، توات مرورا بمدن تافيلات وسجلماسة في المغرب الأقصى.

---

[1]-الغرارة : عبارة عن وعاء غليظ مصنوع من ليف النخيل يستعمل لنقل الأتربة و الدبال فوق ظهور الحمير . انظر : حوتية محمد المرجع نفسه ،ص 139 .

[2]-فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص 74 .

[3]- نفسه ،ص 78 .

[4]-العياشي ،المصدر السابق ،ص 20 .

محور تكدا، الهقار، توات، وهو خط الرجوع للتجار التواتيين من بلاد السودان[1].

الأوضاع الاجتماعية : يتكون المجتمع التواتي من عدة أصول وهي البربر والعرب والزنوج و الحراثيين واليهود والفرس والمرابطون والأشراف[2]، وكانت لغتهم العربية الدارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الأشعرية ومذهبهم المالكي وطريقتهم الجنيدية، ويغلب على سكان توات السمرة، ولهم عادات خاصة بهم في كل المناسبات ولهم قصور عالية متفرقة يحفرون حول كل قصر خندقا[3]عميقا يحصنون به قصورهم من العدو، ومن عاداتهم إكرام الصيف والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه لان في كل قصر من قصورهم زاوية، فيجد فيها كل ما يحتاجه، وإن لم تكن فيه زاوية فان أهل القصر لهم عادة لكل واحد منهم ضيافة المسافر [4]، ويغلب عليهم التقشف و التصوف والتدين والمحافظة على الصلوات الخمس جماعة، ويغلب على أهلها التيمم للآن الماء في بعض القصور قليل، ويحبون الصالحين و يعظمونهم ويحترمونهم، وجل قوتهم التمر يأكلونه قبل الغذاء والعشاء دائما ، وغالب تجارتهم إلى السودان يحملون إليها التمر والزرابي ويجلبون الغنم واللحم[5].

---

[1]-حسيبة بلاطس ،التواصل الحضاري بين الجزائر و بلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و 20م ،مداخلة ،جامعة الشهيد لخضر ،الوادي ،2017 ،ص 15 .

[2]-ابن خلدون ،ج 7 ،المصدر السابق ،ص 69 .

[3]-خندقا : يسمى عندهم ب (حافير) يحفره الأهالي محيطا بالقصر و يملؤونه بالماء و يمدون قنطرة من خشب النخيل فوقه باتجاه باب القصر يعبر فوقها من أراد الدخول إلى القصر . انظر : عبد الله حمادي الإدريسي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع و السوداني ،ج 1 ،المرجع السابق ،ص 451 .

[4]- عبد الله حمادي الإدريسي ، محمد بن عبد الكريم المغيلي و تصديه للخطر اليهودي بصحراء توات و الصقع و السوداني ،ج 1 ،المرجع السابق ،ص 552 .

[5]- نفسه ،553 .

ووضعية المرآة في المجتمع التواتي تتميز بالتأثير على زوجها، والنساء اغلبهن مطالبات بالتحجب عند خروجهن من منازلهن وأن الطلاق شيء سهل عندهم، والنساء الفقراء مكلفات بالأعمال الشاقة أما بالنسبة للنساء الأغنياء فيملكن خادمات[1]، أما بالنسبة للأطفال فماجل اللعب أمامهم كثير فكانوا يشتركون في العاب كثيرة مثل المصارعة ولعب الكرة ولعبة البارود، و من الأمور المعروفة عند التواتيين الطيبة مع جيرانهم ومع الأجانب، وقد استغلوا في بناء منازلهم كل ما يحتوي بيئتهم بالإضافة إلى أن إقليم توات كان يتميز بنظام الفقارة المائية أما في مجال الصناعات كانوا يتميزون بالصناعات اليدوية،أما عن حالة الصحة فكانت متدهورة وظهرت عدة أمراض[2]، ومن مظاهر الانحراف الاجتماعي ظهرت العصابات اللصوصية من قطاع الطرق في المدن والأرياف[3].

الأوضاع الثقافية :

التعليم : يعد العلم من الأسس التي اعتمدت عليها توات وأعطت لها أولوية كبيرة فخططت لها قوانين تنظمها، وسنت له عادات وتقاليد تسهل ممارسته وتحصيله، وكل ذلك لأهمية التي يخضع لها العلم في قيام المجتمعات وإصلاحها لهذا ابتدأ الله سبحانه وتعالى رسالة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ "[4]، والتعليم بمنطقة توات لا يقتصر على طائفة دون أخرى، فلا تجد مدارس ولا مدرسين خاصة للأغنياء

---

[1]-. Deporter . p 46

[2]-حوتية محمد ،ج 1 ،المرجع السابق ،ص 389 .

[3]-عبد الرحمان حمادي الكتبي ،مع المغيلي ابن عبد الكريم الإمام (صاحب نازلة يهود توات) حقائق و وثائق ، مؤسسة البلاغ ، الجزائر ،(ط.خاصة) ،2013م ،ص 21 .

[4]- العلق ،الآية 1 .

بالإضافة إلى مجانية التعليم[1]، والمرآة تحضي بنصيب من التعليم وكانت مرحلة التعليم في هذه الفترة تبدأ عادة بالكتاب ثم الزاوية أو المسجد أما الإجازات العلمية والأدبية فيمنحها بالنسبة للتعليم النهائي كبار العلماء الفقهاء وكانت على الأسرة التي يتعلم احد أبناءها أن تخصص حصة سنوية من التمر والقمح لمعلم الكتاب، وكانت مدة الدراسة غير محدودة ويتعلم الطلبة آداب اللغة العربية والنحو والصرف والبيان والعروض والمنطق والعلوم الدينية والتفسير على مذهب الإمام مالك[2]، وكان الكثير من مشايخ توات يمتلكون أمهات الكتب وقد حافظوا عليها بنسخها[3].

الآداب والعلوم الدينية : اتبعوا أساليب مختلفة في معالجتهم لموضوعات منها الشرح و التعليق على النص أو الاختصار مع التبسيط للموضوع أو التجديد في طريقة العرض و التقديم عن طريق الخذف والتبويب، ومن الموضوعات القديمة التي أحيوها التواتيين علوم الدين من فقه و تفسير وأحاديث وعلوم اللغة والشعر والتاريخ والتراجم والأنساب[4]، فقد احتلت تمنطيط مركز الصدارة في النشاط الثقافي الأدبي وقد كثرة بها المساجد والزوايا حيث أصبحت مقصدا لكثير من علماء المغرب الذين مازالوا بها ومن هؤلاء الشيخ ابن يحي، يحي بن يدير[5]، ومن الأدباء الحسن بن سعيد البكري والبكري بن عبد الكريم ومن شعراء نذكر محمد بن الرحمان بن محمد السكوتي،وتناولوا المديح وعلى رأسهم شيخ البكري بن عبد الرحمان وقد مدحوا الرسول صلي الله عليه وسلم،تطرق

---

[1]-أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج 3 ،دار القلم ،بيروت ،(د.ط) ،1989 ،ص 69 .

[2]-أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ،ج 3 ،ص 109 .

[3]-عز الدين جعفري ،أطلس العادات و التقاليد بمنطقة توات ،أطروحة دكتورة ،تاريخ التراث اللامادي الجزائري ،جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان ،2018/2017م ،ص 179 .

[4]-احمد أبا صافي الجعفري ،المرجع السابق ،ص 42 .

[5]-يحي بن يدير : هو بن عتيق التدلسي أبو زكريا الفقيه العالم ، اخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ، توفي في قسنطينة عام 877ه . انظر: فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص 59 .

الأغراض أخرى وهي الحنين إلى الأوطان والـدعاء والمناجـاة والاسـتنجاد بالأوليـاء الصالحين والتنبه والتحذير والذم والوصف[1].

الزوايا [2]: يرجع تاريخ الزوايا إلى تاريخ نشأت المنطقة التواتية بمناطقهـا الـثلاث وفي بادئ الأمر كانت زوايا خيرية تقوم بإطعام الضـيوف والزائـرين علـى اخـتلاف أغراضهم من طرف شيوخ الزوايا وكانت هذه الزوايا ولازالت تقـوم بالإصـلاح بـين المتنازعين وتقرب بين المتباعدين بالإضافة إلى مساعدة الفقراء[3]، وكان أربـاب الزوايـا محل ثقة الناس ومن مهامها:تحفيظ القرآن، تعليم الفقه وسائر العلـوم الشـرعية، قـراءة صحيح البخاري، محاربة اليهود و طردهم من توات، مكافحة الأمية، القيام برحلات إلـى الحج، وضع خزائن للمخطوطات ...[4].

والزوايا في المدن والقصور التواتية كانت تستمد مواردها المالية من مصدرين وهما ربع الأحباس المالية والعينية الموقوفة على الزواية بجانب الأراضـي الزراعيـة التـي تمتلكها الزاوية،وكذلك الهبات والمنح التي يقدمها إتباع الزاوية وكانت تعرف عند التواتين باسم العفارة [5].

وفي الأخير نستنتج أن الشيخ الإمام عبد الكريم المغيلي 909ه واحـد مـن أبـرز الشخصيات خلال القرن العاشر هجري و ذلك لما عـرف عنـه مـن ثـورة فكريـة و

[1]-عبد الحميد البكري ،المرجع السابق ،ص 80 .

[2]-الزوايا : في الأصل هي ركن البناء وكانت تطلق في بادئ الأمر علي المسجد الصغير أو المصلي وهي مشتقة مـن الفعل زوي بمعني جمع وسميت بذلك لأنها تجمع بين العلم والضيوف والفقراء , انظر : محمد نسـيب ،زوايـا العلـم والقرآن بالجزائر ،دار الفكر،دمشق ،(د.ط.ت)،ص 27 .

[3]-العقبي صلاح مؤيد ،الزوايا و الطرق الصوفية بالجزائر ،دار البرق ،بيروت ،(د.ط) ،2002 ،ص 303 .

[4]-محمد باي بالعالم ،المرجع السابق ،ص 214 .

[5]-العفارة : هي عبارة عن مزود مليء بالقمح و التمر يكفي مؤونة طريق يقدمها كل فرد ذكر بلغ سن الثـامن عشـر لزاويته . انظر : فرج محمود فرج ،المرجع السابق ،ص 52 .

إصلاحية، امتد صدها على طول الساحل الإفريقي ليصل أدغال إفريقيا مـــرورا بمنطقـــة التاريخية محل إقامته النهائية.

يعتبر إقليم توات من الأقاليم الضاربة في الصحراء الكبرى و التي كـــان لهـــا دور كبير في التواصل العلمي، و ربط الصلات الثقافية بين الحواضر الإسلامية حيث اكتفـــى في بادئ الأمر أهمية تجارية باعتباره نقطة عبور هامة للقوافل التجاريـــة القادمـــة مـــن الشمال و الجنوب و مركز التقاء الحجيج القادمين من جنوب المغرب الأقصـــى، و لقـــد حضيإقليم توات باهتمام من قبل العلماء و الفقهاء حتى أصبح حاضرة علمية باع صـــيتها في البقاع الإسلامي، بالإضافة إلى تعدد مشارب أجناس الإقليم التواتي هو ما مكنه احـــد الأسباب الرئيسية التي وقعت عقبة في وجه تكوين وحدة سياسية بداخله لكنها أتهمت فـــي تنوعه و ازدهاره و تفتحه عن باقي الثقافات و الشعوب و المناطق الأخرى.

الفصل الثاني

الدور الإصلاحي للإمام المغيلي في توات

1. عبد الكريم المغيلي في توات:

- أسباب دخول المغيلي إلى توات
- دخول المغيلي إلى توات
- المغيلي في أولاد سعيد
- المغيلي في تمنطيط

2.دور الإمام المغيلي الإصلاحي

- منهجه التعليمي
- زاوية عبد الكريم المغيلي
- دور الزاوية
- المغيلي ودعوته إلى الإسلام في توات

تعاظم اهتمام الشيخ المغيلي بأحوال إمارات المسلمين في توات ورأى أن يرتحل إليها للدعوة والإصلاح وذلك بالرغم من التحديات التي كانت تجابه أنصاره وإمارته الناشئة في توات وقد بذل جهود كبيرة في الدعوة إلى الإسلام والنصح الحكام والأمراء، ووقف على أوضاع توات مجتهدا في علاج مشكلاتها السياسية والاجتماعية،وقد بث نظم وقوانين إدارية تسير الإقليم،وكان منهجه في مواجهة الصعوبات والصبر واللجوء إلى المناظرة والحوار.

المبحث الأول: أسباب دخول المغيلي إلى توات

بعدما أصبح محمد عبد الكريم المغيلي ذو معرفة واسعة بحيث انه صار فقيها وهذا ما ساعده على الانتقال إلى مهنة التدريس كشيخ وأستاذ، وفي هذه الفترة لاحظ الشيخ عبد الكريم المغيلي الفساد السياسي الذي كان يسود البلاد أو بالأحرى عرش بني زيان لأن المجتمع الزياني أصبح معروف بالانحلال الأخلاقي كما شهدت البيئة الزيانية خلال تلك الفترة كما هائلا من التواجد اليهودي الذي كان يسعى إلى السيطرة على موانئ البلاد خاصة مدنها الساحلية[1]، ولقد لاحظ الشيخ المغيلي خروج الأمراء عن الأمور الإسلامية، وانشغاله بحياة اللهو وانغماسهم في الملذات فذاقت نفسه من العيش في وسطهم وبالتالي قرر الهجرة فغادر تلمسان التي كانت تعرف أحوال مضطربة، وذلك بسبب ظلم حكامها وفساد اليهود ومما زاد من الم ووجع الشيخ المغيلي وهو ضعف العلماء وعدم قدرتهم على تغيير المنكر، ومما هو معروف عن الإمام المغيلي انه ذو نشأة صوفية لذلك كانت لديه رغبة كبيرة في نشر العلم والدعوة الإسلامية وهذا ما جعله يختار بلاد توات واستقر

[1] _يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر، الجزائر، (د.ط)، 2009، ص64.

ببعض الوقت لدى أولاد يعقوب[1]، فقد كانت المنطقة في تلك الفترة عبارة عن مماليك وإمارات صحراوية صغيرة، ولقد كان يسيطر عليها كبار التجار والأثرياء وذوي الجاه والنفوذ الديني والاقتصادي، ولقد كانت القوافل التجارية الصحراوية محل اهتمام الناس آنذاك فعند دخول المغيلي ارض توات وجد أوضاع المجتمع التواتي سيئة ومتدهورة خاصة الناحية الدينية والاقتصادية لا تخدم مصالحهم إطلاقا، وإنما كانت تخدم فئة معينة من اليهود وبعض المساندين لهم كالتجار، وبالتالي قرر الشيخ المغيلي مواجهتهم والتصدي لهم ومحاولا من ذلك طردهم من المنطقة[2]، وقال "إن يهود توات وتيكورارين قد حلت دمائهم وأمواله ونسائهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا الذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية مع إعطاء الجزية ويجب أن يلتزموا بجميع أحكام الذمة، لأن الخلاف بين الفقهاء في نقض عهدهم كان في الذمي الذي اخل ببعض الأحكام من غير تصميم واستمرار"[3].

وقال المغيلي "وإما من ترك شيئا من ذلك واستمر على تركه وصمم عليه فلا خلاف في نقض عهده ووجوب قتله وسبه، لأن ذلك هو التمرد على الأحكام الشرعية"[4]

وقد كان هذا رأي العبدوسي لما سئل عن أهل الذمة إذ برزت من بعضهم إذاية للمسلمين مما يكون نقضا لذمته هل ذلك نقضا لذمة جميعهم وانشد الفجيجي ب:

أَيَا قَاطِنِيَّ تَوَّاتٍ أَصْغَوْا إِلَى قَوْلِيٍّ فَقَدْ أَنْ أَبُوحَ بِالْبَعْضِ وَالْكَلِّ

[1]_عبد الله المقلاتي، محفوظ رموم، دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، دار الشرق، الجزائر، ط1، 2009، ص73.

[2]_يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص65.

[3]_عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص24.

[4]_احمد بن يحي الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الرباط، (د.ط)، 1981، ص232.

أَأَنْتُمْ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ أَمِ الْقَوْلُ وَالْيَهُودُ شَكْلٌ عَلَى شَكْلٍ
فَمَا بَالِكُمْ شَرَّ فتموهم عَلَيْكُمْ وَالْإِسْلَامَ أَوْلَى أَنْ يُشْرِفَ فِي أَصْلٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّأْيُ فَقِيهُكُمْ فَمَا الظَّنِّ بِالسَّفِيهِ وَالنَّاقِصُ الْعَقْلِ[1]

المبحث الثاني: دخول المغيلي إلى توات

كان دخول الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى توات في زمان آخر الدولة المرينية بالمغرب ووقت احتلال نظامها، فوجد توات مهملة مقتصر حكامها على شيوخ بلدانها وقد ظهر فيها فساد ومنكر عظيم.

تميزت توات منذ عصورها العابرة ملجأ آمن لكل المضطهدين، ومقرا حصينا يقصده الكثير من ضحايا القمع السياسي والديني[2].

التضارب في تواريخ دخول المغيلي إلى توات:

1. نقله الشيخ محمد بن المصطفى الرقادي الكنتي وهو عام 856ه حيث كان نزوله الأول بقرية أولاد سعيد بتميمون، وتوطن بها بصحبة زوجته زينب وولدت له ثلاث أبناء على التوالي علي، عبد الجبار، عبد الله.

2. نقله الشيخ محمد باي بلعام في محاضرته حول الشيخ الإمام عبد الكريم المغيلي حيث قال " وفي سنة 870ه كان قدوم الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، في حياة أستاذه يحي بن يدير فوجده بتمنطيط واستفاد منه علوم كثيرة"[3]

3. نقله الشيخ محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم وهو عام 882ه وقال "تلك السنة التي جاء فيها عبد الكريم المغيلي إلى تمنطيط ونزل بأولاد يعقوب" ويحتمل إن يكون هذا

[1]_محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، المرجع السابق، ص128.
[2]_حاج احمد نور الدين، المرجع السابق، ص36.
[3]_محمد باي بلعام، الرحلة العلمية في إقليم توات، المرجع السابق، ص81.

تاريخ رجوعه إلى تمنطيط بعد وفاة شيخه يحي بن يدير فوجدها مهملة وقد ظهر فيها الفساد لاسيما من اليهود، فانتقم الشيخ منهم وطهر الأرض من اليهود وكان دخوله لتوات فتحا عظيما[1]

فقد أول عبد الحميد بكري أن التاريخ الذي ذكره محمد بالعام (870ه) هو تاريخ دخول المغيلي إلى تمنطيط وتوطنه بقرية أولاد سعيد[2].

المبحث الثالث: المغيلي في أولاد سعيد

غادر المغيلي تلمسان فطلب شاسع الأمصار، فكانت أول أرض نزل بها هي منطقة أولاد سعيد عاصمة منطقة قورارةتميمون، وهذا حوالي 856ه/1452م، فلا نحتاج الآن دليل لإثبات حقيقة سكن واستطان الشيخ في أولاد سعيد، مع العلم انه خلف فيها آثار كثيرة تدل عليه، بل لا نشك بتاتا في طول مكثه ومقامه هناك خصوصا بعد أن ترك فيها معالم يستحيل أن تقام في وقت زمن قصير، وتشييدها لا يأتي إلا بملائمة الظروف ومرافقة أهل الحل والعقد لهذا البلد العتيق، إلا الرفض وعدم القبول سيد المواقف في دعوته التي تحتمل الوجهين المساندة أو الاعتراض فسكن في أولاد سعيد عبد الكريم المغيلي ووجد قبر زوجته زينب[3]، وقبر ابنه علي التي تدل الوثائق والكتب التاريخية انه مات صغيرا، لكن بالرجوع إلى قبر نجد انه قبر رجل كبير ليس طفل صغير ويعرف عليه في المنطقة باسم الزعالي بلغة الزناتة، أما عبد الله فهو الذي عاش بعد أبيه وخلف ولدين هما أبو القاسم محمد وعبد الرحيم، ومنهم انتشرت وتفرعت سلالة الشيخ بالأراضي

[1]_عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص47.

[2]_نفسه، ص48.

[3]_زينب: السيدة زيبن الجزائرية المعروفة محليا باسم اللوات العليا مقبورة بقصر بضاه لأولاد سعيد على حافة الطريق بين بلدة كالي وأولاد سعيد، بنت الشيخ عبد الرحمان الثعالبي دفين العاصمة. انظر: عبد الرحمان البكري، النبذة في تاريخ توات، المرجع السابق، ص70.

التواتية، وبدخول المغيلي إلى أولاد سعيد وجد هاته الرقعة من الديار الإسلامية وقد استحوذت عليها العصابات اليهودية وفق قواعد وإحكام ونظام لا يخدم سوى مصالحهم وعندما دخل المغيلي مدينة أولاد سعيد وجد اليهود احكموا سيطرتهم على التعامل التجاري، بحيث أصبح البيع والشراء والإجراءات التي تتبعها مستوحاة من تاريخ وثوابت مجتمع الإسلامي وان هذه القواعد صاغها اليهود من اجل تفكيك القواعد الأساسية للمجتمع الإسلامي الذي تنص مبادئه على حرية التدين وحرية العقيدة داخل البلاد الإسلامية[1].

أعمال المغيلي في أولاد سعيد: لما سكن الإمام المغيلي بأولاد سعيد واستوطن بها استقبلته أهالي أولاد سعيد بالترحيب والتكريم لمعرفتهم بقيمة هذا العالم، ووضعوا بيده مقاليد الأمور فهو صاحب الحل والربط هناك وأصبح بذلك إمام وقائد هاته البلاد، وبهاته الثقة التي وضعها أهالي هاته البلاد في الإمام المغيلي استطاع أن يغير الكثير من الأمور التي ترضي الله والتي لم يكن باستطاعة هؤلاء تغييرها، ومن أهم هذه الأعمال ما يلي[2]

1. **المسجد:** كان أول عمل قام به الإمام المغيلي في المنطقة في قصر أولاد هارون وتحويل معبد اليهود(البيعة أو الكنيسة) إلى مسجد لا تزال تقام فيه صلاة الجمعة، وعندما أصبح جليا أمام هذا المصلح انه لا مفر من التغيير وقد قرر تحطيم القواعد التي ستقها الحكام والعلمان من طرف اليهود، وهذا المسجد كان يهدف منه توسيع دائرة إشعاعه الإصلاحي وطمس الأفكار للغيان التدجيل والشعوذة، وباعتبار أن أفكار المغيلي ذات طابع إصلاح تهدف إلى إلغاء نموذج الذي شيده حكام قصور في تلك العصور، ويقول

[1]_نورالدين حاج احمد، المرجع السابق، ص37.

[2]_أمينة احمد يحي، أمينة احمد مسعود، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تاريخ افريقية، جامعة خميس مليانة، 2015/2014، ص23.

الحاج احمد نور الدين "بذهابنا إلى عين المكان وجدنا هذا المسجد قد أعيد بناءه في طريقة عصرية ولم يبقى الآثار الجانبية التي تدل على إن هناك مسجد قديم"[1].

2. **مصلى العيدين:** بناه الإمام المغيلي في قصر أولاد سعيد، وهذا المصلى خصص لصلاة العيدين (عيد الفطر والأضحى) وهو ما يزال مستعملا حتى اليوم حيث يجتمع فيه كل سكان منطقة أولاد سعيد بهذا المصلى بصلاة كل عيد، وهذا دليل على المحبة الباقية في قلوب هؤلاء السكان للمغيلي، لأنهم فضلهم الله سبحانه وتعالى بأن أبقى لهم هاته الآثار التي أسسها لمغيلي في المنطقة وهذا المصلى يقي واسعا حتى الآن يتسع لآلاف من الناس، وقيل انه يوما ضرب بها صاحب على الأرض مخاطبا للناس قائلا "هما الخير والبركة في قلوب الناس إلى يوم القيامة" وفيها دعا البلاد بسعة الرزق وبركة الكيل في التمور والنخيل[2].

3. **السوق:** وبنى الإمام المغيلي سوقا كبيرا ومشهورة في منطقة أولاد سعيد و بالضبط قصر سيدي يوسف المعروف امازغيا باسم (أغام انهازون) وبها شكل قطبا اقتصاديا كبيرا وبها إلى ربط توات بكثير من الأقاليم والبلدان مثل واد ريغة والساورة والمغرب وبجاية والسودان...الخ وبعدما تأكد الإمام المغيلي من تغلغل التيار اليهودي في المنطقة انشأ هاته السوق التي لا تزال قائمة لحد الساعة، وهي تستعمل لغرض تجاري لحد الساعة، وهي تستعمل لغرض تجاري ومناهج إسلامية وبذلك يكون قد فتح جهة للمناقشة التجارية ضد اليهود[3].

وظلت هاته السوق عامرة إلى غاية 1300ه وخاصة القول أن سوق المغيلي بأولاد سعيد رفعت معالم ثورة اقتصادية عظيمة بتوات كانت في وقتها يشار بالبنيان، وخلالها

[1]_نور الدين حاج احمد، المرجع السابق، ص38.

[2]_يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص66.

[3]_نور الدين حاج احمد، المرجع نفسه، ص39.

قضى المغيلي على السيطرة الاقتصادية ليهود الإقليم فإن القبائل التي كلفت بيع المواشي والحلي والزرع والأقمشة والأواني والتوابل في السوق لا تزال الذاكرة الشعبية تتذكرها إلى الآن[1] .

4. **الكرسي:** هذا الكرسي يعد من الآثار التي تركها الإمام المغيلي وهو موجود في وسط السوق التي أنشأها حيث كان يجلس عليه الإمام المغيلي لحل مشاكل و النزاعات التي تحدث في السوق وهو يعتبر مجلس القضاء والإفتاء يقصده العامة والخاصة لحل المشاكل التي يعانون منها وهذا المجلس كان يجلس فيه مع الخاصة مع أهل البلاد يتولى بنفسه إدارة شؤون التجارة من البيع والشراء وهو مجلس علم يلتقي فيه مع كبار العلم والفقهاء لأجل المذاكرة والمناقشة وقد أعجب بهؤلاء الأعلام وبغيرهم من أعلام توات فأعرب عنه قائلا "دخلنا توات فوجدناها دار علم ومقر أكابر فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا" وهذا الكرسي إلى اليوم موجود في مكانه، وقد عمل أعيان البلاد على حفظه ورعايته وبنو حوله مقام مثل مقام الإمام المغيلي بزاوية الشيخ[2].
5. **خلوة الإمام عبد الكريم المغيلي:** كان يتعبد فيها ويخلو فيها ليزكي نفسه ويذكر الله سبحانه وتعالى بالأفكار وينسى فيها متاعب الحياة وفوضى السوق ومشاكل وقضايا الناس، وتعتبر الخلوة من أهم الأمور التي تعتبر للداعية ان يفكر فيها ويجعل لنفسه مكانا ووقتا يخلو فيه بنفسه، ويراجع أفكاره ويصحح من أخطائه، فهي مجال لمحاسبة النفس على أعمالها وأفعالها، وهي مجال للعبادة والتفكير في خلق الله[3].

[1]_يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص68.

[2]_أمينة احمد يحي، أمينة احمد مسعود، المرجع السابق، ص29.

[3]_نفسه، ص40.

والحق أن أهالي أولاد سعيد تفانوا في محبة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى حد لا يتصور وهو الشيء الذي دفعهم إلى اخذ العهود والمواثيق على توالي حماية أهـل بيتـه (الزاوية والأولاد)[1].

المغيلي في تمنطيط: تعتبر مدينة تمنطيط ملحمة أجيال وأجناس متعاقبة مـن يهـود وعرب وزنوج كما تشهد من ذلك الآثار الباقية في منطقة تمنطيط تعود إلى القرن السابع وقد كانت تمنطيط تمثل نقطة الالتقاء القوافل التجارية القادمة من سجلماسة والعائدة إليهـا من تنبكتو، وكذلك بلاد السودان وطرابلس وبجاية نحو اتجاهات مختلفـة[2]، أن أوضـاع السياسية التي واجهها المغيلي بمنطقة توات تتمثل في انعدام واضح وهـذا مـا أصـعب المهمة الإصلاحية للشيخ المغيلي فعند وصوله لمدينة تمنطيط وجدها مملوءة باليهود حيث أكثروا فيها فسادا وكانت التجارة مهمتهم الأولى، وهذا ما مكن اليهـود مـن السـيطرة السياسية، ولقد استغل يهود تمنطيط أموالهم وثرائهم وأصبحوا يتحكمون في القادة والحكام ذلك لخدمة مصالحهم الخاصة ولقد تورط في هذا الأمر مجموعة من الأمـراء وزعمـاء الأسر الغنية بتمنطيط، الوضع الذي استغله أولئك اليهود في ممـارة أعمـالهم أبرزهـا محاولتهم إبعاد المسلمين عن دينهم ومحو كرامتهم[3].

لقد قام يهود تمنطيط ببناء بيعة وتشييد بيع كبيرة لهم فاقت كـل حـدود فـي كبـر حجمها، بحيث جعلوا منها مملكة يهودية وليست ارض إسلامية وهذا ما اغضب الإمـام عبد الكريم المغيلي واعتبرها إهانة للمسلمين وتطاول على الشعب المسلم، واعتداء علـى سيادتهم الوطنية لذلك قرر المغيلي وضع حد لهذا التطاول اليهودي، وإعادتهم لمكـانتهم الأصلية كجالية يهودية في بلاد الإسلام، فقد قام الإمام المغيلي بجمع أصحابه وأنصـاره

[1]_يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا، المرجع السابق، ص60.

[2]_نفسه، ص70.

[3]_أمينة احمد يحي، أمينة احمد مسعود، المرجع السابق، ص40.

بهدم بيع اليهود بتمنطيط، فوافقوه الرأي وجربوا بيع تمنطيط، كما هدموا البيع الأخـــرى، وقام المغيلي أيضا بإعطاء وعد لأصحابه ومناصريه بحيث كل من يقتل يهودي معارضا يعطيه سبع مثاقيل ذهبية، وهذا ما اغضب اليهود وحقدوا عليه ومما أفاض الكيل عنده[1].

حال ذلك اليهودي الخائن الذي كان يصلي بالناس في مسجد عمر ويوسف بتمنطيط، وكان منافقا في الدين يخادع الله ورسوله يظهر الإسلام ويبطل الكفر بلغ من كيده للإسلام أن يرش المسلمين بالبول في صلاة الفجر، فاحتال الشيخ المغيلي على إظهار كيده ونفاقه وقتله، وقد كانت مدينة تمنطيط مكثفة باليهود كان بها 366 صانعا يهوديـــا وهـــذا فـــي حدود1442[2].

اخذ اليهود يشيعون بعض الأقاويل ضده وهذا ما اغضب أصحابه وقاموا برد الفعل فهاجم المدعو مبروك بن احمد اليهود في واحة تاخفيف وقتل واحد منهم[3].

ولقد كانت بداية الخلاف بين المغيلي وقاضي مدينة تمنطيط عبد الله العصنوني فـــي إثارة موضوع استخدام الحكام لتجارة المسلمين لليهود وتوكيلهم على أموالهم مما أعطـــى لليهود مكانة أهل الذمة.[4]

المبحث الثاني: دور الإمام المغيلي الإصلاحي

منهجه التعليمي: نشأ الإمام المغيلي بين أحضان عائلة مشهورة بـــالعلم والتقـــوى والتصوف. فقد ترعرع في احتضان كوكبة من ابرز علماء الأمة ووســـط بيئـــة حافلـــة

[1]_هناك رواية شعبية مفادها أن المغيلي ما عزم على طرد اليهود إلا بعد أن تعدى واحد منهم على فتاة مسلمة وكان هذا سبب اندلاع ثورة ضدهم. انظر: عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وإعلامها، المرجع السابق، ص84.

[2]_احمد أبي صافي الجعفري، المرجع السابق، ص106.

[3]_يحي بوعزيز، إعلام الفكر الثقافي في الجزائر المحروسة، ج2، دار البصائر، (د.ط)، 2009، ص150.

[4]_مقدم مبروك، المرجع السابق، ص116.

بالنشاط المعرفي، مترددا على مواطن الدرس معلما ومتعلما في مسقط رأسه تلمسان أولا، ثم الجزائر العاصمة ثم توات أخيرا[1].

وقد سلك طريق الدعوة بنشر العلم فهو سلاحه الذي مكنه من الانصهار في الأمم وحارب به أعداء الدين من الحكام وما شايعهم، وقد سلك طريقة خاصة في الدعوة. فعمل بعض العلماء على إنزال بعض الفتاوى يرخصون فيها بالتعامل مع اليهود مما نفى عنهم صفة الذمية ودفع الجزية لبيت المال[2].

عند دراسة المغيلي في تلمسان حفظ القرآن الكريم في صغره واعتكف على دراسة العلوم العربية والإسلامية واللغوية والفقهية والعقلية والنقلية، واشتهر المغيلي بذكائه بين أقرانه. واخذ عن عبد الله الثعالبي تفسير القرآن الكريم والتصوف والقراءات، ثم رجع إلى تلمسان واشتهر في طلب العلم وتحصيل ما يمكن تحصيله[3]. وقد اجتهد المغيلي في بث العلم وجاهد أعداء الدين، وكما جاهد بلسانه وجاهد كذلك بقلمه[4].

وقد خلف الإمام المغيلي من وراءه إنتاجا فكريا غزيرا في ميدان التأليف، وما يزال الكثير منه مخطوطا ومحفوظا لدى تلاميذه متشيعين له من الأسرة الإسلامية، ومن ضمن ذلك ورد في البستان لابن مريم:

البدر المنير في علوم التفسير

تفسير سورة الفاتحة في ورقة واحدة

مصباح الأرواح في أصول الفلاح

اكليل معنى النبيل

---

[1]_خير الدين شترة، المرجع السايق، ص،ص286ـ287.

[2]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج3، المرجع السابق، ص31.

[3]_خير الدين شترة، المرجع نفسه، ص287.

[4]_محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ص26.

إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل

شرح بيوع الآجال

مختصر تلخيص المفتاح

مفتاح النظر في علم الحديث

شرح على جمل الخونجي في علم النطق

تأليف في المنبهات

منح الوهاب منظومة في علم المنطق

تنبيه الغافلين عن مكر الجالسين بدعوى مقامات العارفين

شرح خطبة المختصر

مقدمة في العربية وفهرسة رواياته

كتاب الفتح المبين

أجوبة عن أسئلة الأسقيا محمد الأول الكبير

جملة مختصرة فيما لا يجوز للحكام في ردع الناس عن الحرام

وعدة قصائد منها الميمة على وزن البردة في مدح الرسول صل الله عليه وسلم[1].

و بالجملة فقد اعد له الأستاذ مبروك مقدم سبعة وأربعين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع، واغلب هذه النسخ المخطوطة موجودة حاليا في خزائن منطقة توات جنوب الجزائر،كما توجد نسخ منها في بعض الخزائن والمكتبات الإفريقية[2].

ولم يكتفي الشيخ المغيلي بالجوانب الأدبية بل كان بارعا أيضا في الميدان اللغوي حيث كانت له عدة قصائد بمثابة أحكام حتى يتمكن بواسطتها ممن بلوغ غايته المتمثلة في

[1] _يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة (1ـ2)، المرجع السابق، ص،ص156ـ157.

[2] _خير الدين شترة، المرجع السابق، ص308.

الدعوة. ومن ذلك قوله القصيدة المعروفة بالقصيدة الميمة التي ارتجلها عند قبر الرسول صل الله عليه وسلم. هذا مطلعها:

بَشَّرَاكَ يَا قَلْبِيُّ هَذَا سَيِّدُ الْأُمَمِ وَهَذِهِ حَضْرَةِ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

وَهَذِهِ الرَّوْضَةِ الْغَرَّاءِ ظَاهِرَةً وَهَذِهِ الْقِبْلَةِ الْخَضِرَا كَالْعِلْمِ [1].

ويغلب على أسلوبه طابع الإيجاز، وكذلك توازن الجمل كما أيضا في أسلوبه صادق العاطفة غرضه في ذلك إيقاظ همم الناس بفعل لحماسة الدينية.

وعندما تقرأ ما كتبه المغيلي نجد الألفاظ التي يستعملها بسيطة في معانيها. كما حاول في كتاباته تكثيف أفكاره في حكم وصيغ موجزة، فأسلوبه في حكمه وأمثاله أنيق ورشيق إذا تأمل الباحث ألفاظه.

ومن خلال تناول آثار المغيلي العلمية فإنك ل تكاد تجد من معاصريه من ينافسه على مرتبة الريادة[2].

أثر الشيخ المغيلي على تلاميذ ويظهر هذا التأثير من حيث تأليفهم وإنتاجهم طريقته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الله تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"[3]. واستفادوا من فقهه وانتفعوا به كما كان أيضا من تلاميذته كان شاعرا مداحا للنبي صل الله عليه وسلم[4]،

[1]_خير الدين شترة، المرجع السابق ، ص309.

[2]_نفسه، ص،ص328_329.

[3]_آل عمران، الآية104.

[4]_مجلة محمد بن عبد الكريم المغيلي من المهد الى اللحد، المرجع السابق، ص16.

والذي تأثر به كثيرا هو تلميذه المنخلع لشيخه الإمام المغيلي عمر الكنتي[1] من جميع ما بين يديه من علم، وسلم له في كل علومه، ولازمه برسم الصحبة ثلاثين سنة، حيث أوصاه بتغسيله ودفنه[2].

زاوية عبد الكريم المغيلي: أسس المغيلي إمارته وزاويته بقصر بوعلي على آثر الخلاف الذي وقع بينه وبين شيخ زاويته يحي المنياري عبد الله العصنوني وهذا سنة 885ه/1480م وبدأ نشاطه التعليمي بها وسرعان ما جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمة الحربية، حيث كانت قاعدة لانطلاق جيش المغيلي لضرب قواعد اليهود بتازولت وتمنطيط وغيرها من تواجد اليهود بتوات[3].

وبدأ يقصده طلبة العلم من حدب وصوب، لأنه اصب معروف ومشهور بين الناس، وهذا ما ساهم في زيادة الإقبال على زاويته وذلك قصد المعرفة والتعلم وكان نعم المعلم ونعم المجاهد[4]، فحياته لم تكن مقتصرة على القتال والحملات العسكرية بتوات لأن تواجد اليهود لم يدم سوى بعض سنوات وهو قبل كل شيء رجل علم وثقافة ودين، بحيث كان للشيخ أتباع من تلاميذته يساعدونه في عمله الدعوي ولإصلاحي انطلاقا من زاويته فطلابه لم يكونوا من فئة الأحرار فحسب بل عمد إلى تكوين طلاب له من العبيد والمماليك[5]. وكانت زاوية المغيلي على نهج الطريقة القادرية التي امتد نفوذها إلى مناطق التكرو والسودان الغربي، وكان من أهداف مؤسسها هو الدعوة إلى الأخوة الإسلامية لبناء

---

[1]_الكنتي: محمد بن مصطفى بن عمر بن الحاج اعمر الرقادي الكنتي نسبا التواتي موطنا من مشايخ توات المعاصريين، وهو شيخ المدرسة الرقادية بزاوية كنتة بأدرار. انظر: قاضي عمارة، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، ص77.

[2]_مجلة محمد بن عبد الكريم المغيلي من المهد الى اللحد، المرجع نفسه، ص17.

[3]_نور الدين حاج احمد، المرجع السابق، ص47.

[4]_قاضي عمارة، المرجع السابق، ص46.

[5]_نفسه، ص47.

مجتمع متوحد تحكمه المبادئ الشرعية[1]، والوعي الديني والإبداع الفكري الذي طبع منطقة توات، وأعطى أهمية بالغة للعلم والعلماء خصوصا بعد توافد العلماء إليها، وهم الذين أسهموا بدرجة كبيرة في ازدهار الحركة الفكرية بها[2].

وقد استطاع المغيلي هو وشيخ طريقته ومقدم زاويته بتوات أن يستفيد من الطريقة الصوفية التي تقوم على السمع والطاعة للشيخ، في عدد لابأس به من الأنصار والمرادين في خدمة توجهه الإصلاحي وفي دعوته إلى الحرب ضد اليهود وأنصارهم[3].

دور الزاوية:

1. كانت الزاوية مركزا للعبادة والتعليم والتربية، كما كانت اكبر دار للقضاء بعد مركز تمنطيط، بحيث كانت تفصل في القضاء والخصومات والنوازل التي كانت تشغل إفراد والعشائر في المجتمع التواتي[4].
2. تحفيظ القرآن للطلبة الصغار والكبار عبر المدن والقرى[5].
3. الاهتمام بتلقين الدروس في اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية فنبع فقهاء وعلماء كثر[6].
4. توفير الأمن والاستقرار للقوافل التجارية المارة خاصة تلك الآتية من أسواق الجنوب من السودان الغربي، حيث كانوا ينزلون في مختلف واحات الإقليم لأخذ نصيب من الراحة والتزود بالماء والغذاء.

---

[1]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص273.

[2]_نفسه ، ص274.

[3]_نور الدين حاج احمد، المرجع السابق، ص47.

[4]_قاضي عمارة، المرجع السابق، ص47.

[5]_سالمي زينب، المرجع السابق، ص59.

[6]_نفسه، ص59.

5. اهتمام الزاوية بالجانب الاجتماعي على عادة جميع زوايا توات حيث كانت مركز نزول المسافرين وإيواء الفقراء وابن السبيل[1].
6. تعد الزاوية مركزا عسكريا لتجنيد الجيوش حيث كانت مركز الثورة الأولى والثانية ضد اليهود وبفضل هاته الزاوية أصبح في توات قاضيان شرعيان[2].
7. العمل على نشر الفكر الصوفي القادري من خلال نشر الطريقة القادرية التي أخذها على شيخه عبد الرحمان الثعالبي ووصاه بنشرها في توات والسودان الغربي واخذ من هاته الزاوية قاعدة لنشر هاته الطريقة وإيجاد إتباع لها، فهو في تصوفه يركز على تهذيب الأخلاق والدعوة إلى تعاليم الدين الصحيحة[3].

المغيلي ودعوته للإسلام في توات:

قضى الشيخ المغيلي أزيد من عشرين سنة في الدعوة إلى الإسلام ونشر أحكامه وأفكاره بين الشعوب، وكانت مساهمته كبيرة في نشر تعاليم الإسلام واخذ بيد الحكام، وإدخال شعوب وقبائل عديدة إلى الإسلام، كما يعد مصلحا دينيا وسياسيا واجتماعيا ساهم في نشر الأفكار الاجتماعية، فهو كان مدرسا وإماما ومفتيا وقاضيا[4].

ولقد شكلت حياة الإمام عبد الكريم المغيلي المملوءة بالكد والنشاط والغيرة على واقع الإسلام والمسلمين وهو نواة الحركة حوارية وإصلاحية حقيقة في حياة الكثير من الشعوب والأفراد وامتد صداه داخل وخارج وطنه، أسهم بشكل جليل في اتساع حركة المد الإسلامي[5]، ونذر نفسه لله تعالى تاركا الدنيا وانطلق في منهج الدعوة والإصلاح وقال عنه

[1]_نور الدين حاج احمد، المرجع السابق، ص48.
[2]_نور الدين حاج احمد ، المرجع السابق، ص48.
[3]_نور الدين حاج احمد ، المرجع السابق ، ص49.
[4]_عبد القادر المينق، دور محمد بن عبد الكريم المغيلي في مقاومة يهود توات، جامعة غرداية، ص190.
[5]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص294.

التنبكتي "خاتم المحققين الإمام العلامة المحقق الفهامة، القدوة، احد أذكياء العلم وإفراد العلماء الذي أوتوا بساطة في العلم والتقدم والنسبة في الدين المشهور بمحبة الرسول صل الله عليه وسلم وبغض أعدائه، حتى جرى بينه وبين خصومه مشاحنات..."[1].

وقد كانت العقيدة الإسلامية والتوحيد هي الاهتمام الأول للمغيلي فقد وقف نفسه لتصحيح عقائد الناس مما علق بها من شوائب الشرك والكفر، والمغيلي سني العقيدة يمسك عن التأويل ويحذر من الخوض في مسائل لا يدركها العقل البشري، هو مالكي المذهب وقد عمل على نشر مذهبه في كل الأصقاع التي زارها، كما أن تلاميذه احذوا عنه هذا المذهب[2].

وفي الأخير نستنتج مجيء عبد الكريم المغيلي إلى توات أي دخوله لها عام 870ه ودخوله تمنطيط 882ه ونزل بأولاد يعقوب وانتقل منها إلى بوعلي وبها ضريحه ومقامه مشهور بالعلوم الظاهرة والآية الباطنة فهو آية الله في أرضه وحجته في شعيرته وقصته في جلاء اليهود في تمنطيط، وقد نشر المغيلي أحكامه وأفكاره بين الشعوب، واجتهد في بث العلم وجاهد أعداء الدين وقد جاهد الشيخ المغيلي بلسانه وسنانه وكذلك بقلمه، وقد أنشأ زاويته بقصر بوعلي وبدأ نشاطه التعليمي بها وقد جمعت هذه الزاوية بين المهمة التعليمية والمهمة الحربية.

[1]_احمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص332.

[2]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص296.

الفصل الثالث

المغيلي وتصديه لليهود في توات

1. اليهود في توات
   - اصل اليهود
   - دخول اليهود الى توات
   - وضع اليهود في اقليم توات
   - نماذج عن مكر اليهود
2. نازلة يهود توات
   - بداية النازلة اليهودية
   - ردود العلماء المساندة للمغيلي
   - ردود العلماء المعارضة للمغيلي
3. ثورات المغيلي ضد يهود توات
   - الثورة الأولى
   - الثورة الثانية
   - خروج اليهود من توات
   - نتائج وانعكاسات الثورات

لعل الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هو عالم من أعلام الإسلام، كانت له المحاورة في شأن يهود توات جرت بينه وبين الشيخ عبد الله العصنوني مخالفات في هدم كنائس اليهود لما اشتد نفوذهم وطغو وتجاوزو الحدود الشرعية وقد كانوا يشتغلون بأغلب الصرائع الأولية وضايقوا المسلمون في تجارتهم واختلف العلماء في هدم كنائسهم وفي إجلائهم عن توات، وهذا هو هدف الشيخ عبد الكريم المغيلي لما رأى تواجدهم في توات خطر على الإسلام والمسلمين، وبمجرد ما بلغته فتوى العلماء الذين أيدوه بادر إلى هدم كنائس اليهود، والى تدميرهم من هاته الأرض الطاهرة، وهذا من خلال دوره الجهادي في توات.

المبحث الأول: اليهود في توات

أصل اليهود: ضم إقليم توات جالية كبيرة من اليهود، يرى البعض أن وصولهم كان سنة 50 ق.م، والبعض الأخر يرى أنهم دخلوا شمال إفريقيا منذ عهد الفنيقيين والرومان أي أصولهم فنيقية ورومانية[1]، فر البعض منهم إلى الصحراء نتيجة الاضطرابات الدينية الذي تعرضوا له لكن بأعداد قليلة، وبعد مجيء الإسلام إلى شمال إفريقيا لم يبقى أمامهم خيار غير أن يتأقلموا أو يذوبان في المجتمع الإسلامي، غير أن البعض منهم فضل الهجرة نحو الجنوب[2]، خاصة إلى منطقة توات ويرى يعقوب اوليل الذي كانت له أبحاث حول يهود توات إن المنطقة عرفت ثلاث هجرات رئيسية لليهود كانت الأولى في القرن الثاني ميلادي انطلقت من ليبيا باتجاه توات، والثانية كانت في القرن السادس ميلادي وكانت انطلاقتها من الوصل، ثم انضمت إليها جالية من يهود خيبر في الصحراء

[1] _مبارك بن صافي الجعفري، المرجع السابق، ص47.

[2] _فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص49.

المصرية الليبية واتجهت نحو توات أما الثالثة فانطلقت في القرن السابع ميلادي من الأندلس إلى المغرب لتصل إلى توات في القرن العاشر ميلادي[1].

ويرى البعض الأخر أنهم يهود الأندلس، غير أن أبرز هجراتهم هي التي عقبت أحداث اشبيلية سنة793ه/1991م، والبليار سنة897ه/1492م بعد سقوط الأندلس[2]، ومهما يكن تاريخ واصل دخولهم إلى توات إلا أنهم يشكلون جالية كبيرة يرى التاجر الجنوي انطونيو الذي زار المنطقة سنة850ه/1447م ويذهب المستشرق الإشيليإلى القول ان اغلب يهود توات ذو أصول بربرية اعتنقت الديانة اليهودية دون تعلم اللغة العبرية، كما ينفي تواجدهم الكبير في الإقليم، ويفسر قوله الأول بأن معظم الوثائق والمخطوطات التي وجدت بقصور توات إنما هي مكتوبة بالعربية، وأن النقوش الأثرية هي مكتوبة بالليبية البربرية القديمة، فكما نعلم أن اليهود عبر تاريخهم الطويل كانوا يندمجون مع ثقافات الشعوب التي عاشوا إلى جوارها كما هو الحال مع يهود شبه الجزيرة العربية الذين كانوا يتكلمون العربية كما أن جل المصادر العربية والتاريخية القديمة تشير إلى الهجرات اليهودية بين حقبة تاريخية وأخرىإلى بلاد المغرب الإسلامي[3]، كما يبدو انه نفى لتواجد اليهود في إقليم توات في العصور الوسطى وهو بعيد الصحة، وقد أحسن المستشرق اليهودي يعقوب اونيل في كتابه يهود الصحراء عدد المناطق والقرى التي يقطنها اليهود بتوات قبل مجيء الشيخ المغليلي إليها بحوالي ثلاثين قرية يهودية تبدأ من تبلكوزة شمالا إلىتاورير جنوبا، وأكثر المناطق التواتية كثافة باليهود هي وسط إقليم توات وبالأخص تمنطيط والتي كان بها لوحدها ما يفوق عن 360 صانعا وكان يهود

[1]_jacoboliel. Les juifs ou sahara. Le toute ou moyen age cars edution paris. 1994 . P15.

[2]_فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص70.

[3]_مولاي التوهامي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، دار الحديثة للفنون، ادرار، ط1، 2005، ص40.

توات يشكلون الفئة الغنية بين سكان هذا الإقليم[1]، وقد كونوا ثرائهم الفاحش عن طريق المعاملات الربوية، والتجارة عن المشروعة عن طريق استغلال الضعفاء واحتكار السلع، فطغت وتجبرت اليهود على الأهالي و تحكمت على رؤساء القبائل والقادة وهيمنت عن كل حياة القصور التواتية وقد كان بعض رؤساء القبائل في مدينة تمنطيط يشجعون اليهود على بناء بيعة وقد بنو بيعة كبيرة لهم تجاوزت في ضخامتها تلك الحدود التي قد يمكن للمسلمين أن يسمحوا لهم بها كما بنو بيع أخرى من غيرها من واحات توات حتى بدا إقليم توات كأنه مملكة لهم[2] وعند ذكر أصل اليهود لابد من ذكر المهاجرية وهم اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، لكن لم يختلطوا بالمسلمين امتنعوا عن مصاهرة القبائل والأجناس الأخرى، وربما كان اعتناقهم الإسلام بدافع الحفاظ على مصالحهم أوأنهم اظهروا الإسلام وبقوا على يهوديتهم في السر[3].

وقد تراجع وجودهم بعد مجيء المغيلي وإعلان ثورته ضدهم[4].

دخول اليهود إلى توات

يرجع وجود اليهود بتوات إلى القرن 8ه/14م وربما قبل ذلك بكثير بحسب بعض الروايات ولعل الدافع التجاري كان اقوي العوامل التي أوجدت هذه الفئة بالإقليم وذلك بعدما أصبحت الطريق الغربية التي تربط بين منطقة السوس بمملكة غانا غير آمنة، فاضطر اليهود إلى التوجه في طريق تافيليت بتوات والسودان الغربي حيث نزلوا بتمنطيط وتيطاف وتخفيف وتاسفوت وتازولت غير أن شوكتهم علت بمنطقة تمنطيط

[1]_مولاي التوهامي، المرجع السابق، ص41.

[2]_شيبابي ياسين، إقليم توات خلال القرن 9ه/15م وموقف الشيخ المغيلي التلمساني من يهودها، جامعة ريان عاشور، الجلفة، ص12.

[3]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص110.

[4]_عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص23.

فزكت أموالهابها، وسيطروا على التجارة والأسواق فقد ذكر المؤلف خير الدين شترة انه كان بتمنطيط وحدها 363 صانعا يهوديا[1] يبيعون ويشترون في الـذهب والفضـة عـن غيرهم من أغراض، وكان لهم بتمنطيط حي خاص بهم، ولما أدركواأن السـكان بتـوات يتعاملون معهم بحذر لكونهم أهل ذمة ادعت طائفة مـنهم الإسـلام ولقبـو بالمسـلمين المهاجرين[2]، امتنعوا على مصاهرة القبائل الأخرى أوالامتزاج بها، وبالنظر إلى المجموع السكاني لليهود فهم يعدون اقل شريحة اجتماعية يهودية[3] فهم تجار يتقنون حرفة التجـارة بشكل كبير، مما أدىإلى تمكنهم من السيطرة على سوق تمنطيط، كما احتكوا في العديـد من المرات بقبيلة أولاد علي بن موسى تمنع عنهم ظلم بعض البربر، الذين طلبـوا مـن اليهود المشركين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة وكـانوا يقـدمون لهذه القبيلة ولغيرها هدايا مقابل رد الظلم عنهم، واعتبرت هذه الهدايا مقابل هذه الجزية[4].

أماالمهاجرية فقد كانوا يتعاملون مع السكان بطريقة عادية إلا أنهـم لـم يختلطـوا بالسكان حيث هي الأخرى كانت لهم عادات وتقاليد خاصة، وأيضا كانت لهم أحياء خاصة بهم[5]. وقد تعاملوا السكان مع اليهود بشكل يوحي أنآهل توات وثقوا في إسـلامهم حيـث قربوهم من عيالهم وأهلهم واستخدموهم في متاجراتهم واستأمنوهم على أمـوالهم، وبـذلم قوت شوكتهم بالمنطقة وأصبحوا مع مرور الزمن من أكبر من يمول تـوات وسـيطروا بشكل كلي على حرفة التجارة وتمكنوا من إحكام قبضتهم عليها، وأصـبحالتواتي يجعـل اليهودي على رأس قافلته المتوجهة إلى الشمال أو الجنوب[6].

---

[1]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص108.

[2]_يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، المرجع السابق، ص146.

[3]_محمد باي بالعالم، الرحلة العلمية بإقليم توات، المرجع السابق، ص128.

[4]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وآثار، مج3، المرجع السابق، ص79.

[5]_فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص51.

[6]_عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص65.

وضع اليهود في إقليم توات

عرف إقليم توات في قلب الصحراء تواجدا للطائفة اليهودية، والتي تكونت عبر عصور مختلفة وقد أطلق عليها سكان توات أسماء عديدة، تعبر عن الأصول المختلفة لتلك الفئات اليهودية، فمصطلح اليهود الأصلي يطلق على تلك القبائل الأمازيغية التي اعتنق أفرادها اليهودية أوأولئك الذين قدموا من المشرق إلى المنطقة[1]، أما من دخل منهم إلى الإسلام فقد أطلق عليهم اسم المهاجرة، حيث كانت هذه الفئة تخضع لأحكام التشريع الإسلامي في حين يطلق اسم الغلائف على اليهود القادمون حديثا إلى المنطقة، وهي الفئة التي كانت تملك أسباب الثورة وبسطت سيطرتها على تجارة الإقليم، وأصبح دورها السياسي بارزا لأكثر المعنيين بأسباب الخلاف الذي نشب مع المغيلي[2].

وقد سكنوا في حارات خاصة بهم تعرف بحارات اليهود أو الدرب اليهود، كما شجع هذا التنظيم العمراني على عزلة اليهود، وزاد في انغلاقهمالاجتماعي، بسبب خلافاتهم الدينية والرفض الاجتماعي، الذي عانوا منهم بسبب سياسة التمييز التي مارستها بقية العناصر الاجتماعية الأخرى، في مقابل انفتاحهم الاقتصادي الذي جعلهم يسيطرون على التجارة و ورشات الحرف النسيجية والخياطة والصياغة[3].

ووضع يهود تمنطيط أيديهم على التجارة العابر للصحراء بنشاطهم وحنكتهم، كما احتكروا صياغة الذهب والفضة واحتكوا أيضا بالحكام والأعيان في المدن والقصور المختلفة كما تمكنوا من ربط علاقات اجتماعية مع السكان المسلمين وقد سمح لهم هذا الوضع بالتدخل في الشؤون السياسية ومن خصوصياتهم كانوا يوظفون النفوذ المادي في

[1]_المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد16،1986، ص90.

[2]_نفسه، ص91.

[3]_eirbeth(M) les juifs de l algerie de la tunirie a lepoqueturue 1516_1830 in revue africaine. P343.

الإستلاء على الأوضاع حيث سعى اليهود لتوظيف الدين اليهودي في كل مشاريعهم وشعاراتهم القائلة: " بأنهم شعب الله المختار " وهذا ما تفطن له الشيخ المغيلي وكشف الستار عن حقيقة يهودي متواجد في تمنطيط " وجود يهودي متنكر في زيي إمام مسلم أما المسلمين طيلة أربعين عاما وعندما افتضحأمره بواسطة المغيلي جمع حوائجه وحاول أن يفر فلاحقه المغيلي وتولى قتله ".

وبالنظر إلى المجموع السكاني للإقليم فهم يعدون أقل شريحة اجتماعية فهم تجار تمكنوا من السيطرة على سوق تمنطيط، وقد تعامل السكان مع اليهود بشكل يوحي أنأهل توات وثقوا في إسلامه[1] حيث قربوهم من عيالهم وأهلهم واستخدموهم في متجرتهم واستأمنوهم على أموالهم وسيطروا بشكل كلي على حرفة التجارة وأصبح التواتي يجعل اليهودي على رأس قافلته المتوجهة نحو الشمال أو الجنوب، بالإضافة أنهم مكنوا لأنفسهم مناصب رئيسية مرموقة فاستغلوا الحكام والعلماء للتعدي على الأحكام وانتشرت مفاسدهم وقد بنو معابد لهم تجاوزت ضخامتها كل حدود تمنطيط، كما بنو بيع أخرى في واحات توات وكأن توات أصبحت مملكة لهم وليس أرضا إسلامية[2].

ومن منطلق أن اليهود أصبحوا يسيطرون على توات ويتصرفون فيها بدون رادع يردعهم أو يوقفهم عن حدهم سواء من زعماء القبائل أو حتى من علماء المنطقة، فقد جهد الإمام المغيلي بدعوته لما عاين وشاهد ذلك فأدعى إلى إصلاح الوضع وأعلن معاداته لليهود[3].

نماذج عن مكر اليهود:

[1]_يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص73.

[2]_نفسه، ص54.

[3]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص353.

قد كان ببلاد المغرب الإسلامي جالية يهودية طاغية بمالها الفاحش وثرائها المتزايد الذي اكتسبته بالربا ونمته بالتجارة الغير المشروعة عن طريق استغلال الضعفاء واحتكار الأموال وسلع التجارة وبضائعها، وقد هاجرت هذه الجالية من مناطق عبر عور قديمة باتجاه الغرب الإسلامي واستغلوا القادة والسياسة وتسلطوا عليهم وأخضعوهم لإرادتهم وكانوا متوافدين حتى في أقوى دولة بإقليم بني مرين[1]، حيث كانوا يعيشون بمصالح المسلمون السياسية والاقتصادية خاصة هارون اليهودي الوزير الأول للسلطان عبد الحق بن أبي سعيد المريني الذي كان يتحكم برقاب المسلمين بفاس ويفعل فيهم الأفاعيل وشاويل اليهودي الذي كان حاكما على فاس أيضا وكان ذلك سبب في قيام مزوار الشرفاء محمد بن علي عمران الإدريسي بثورته وقيامه بقتل السلطان عبد الحق ووزيره هارون اليهودي، وباقي يهود فاس والقضاء على أسرة ابن عبد الحق المرينية ومبايعة شريف الرضا الإدريسي من أسرة بني وطاس عام869ه/1465م[2]. وليس هذا أول مرة يتصرفون فيها اليهود بمثل هذه الأعمال فيجلبون على أنفسهم رد فعل المسلمين وحكامهم الذين يعملون على إعادتهم إلى رشدهم وصوابهم.

ففي نهاية القرن16ه سنة 595ه عاقبهم يعقوب المنصور فرض عليهم لباسا خاصا يتمثل في قميص طويل وعرضه ذراع لونه ازرق، حتى يكون معرفون عند الجميع ولا يقدرون على ممارسة خبثهم ومكرهم وخداعهم[3]، وفي عام 648ه/1250م فرض السلطان محمد المستنصر الحفصي لباسا خاصا على اليهود لنفس الأسباب والدوافع بعد أن كثر

[1]_محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ دولتين الموحدية والحفصية، تونس، ط2، 1966، ص54.

[2]_فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص71.

[3]_نفسه، ص70,

مكرهم وخداعه للناس اقتصاديا واجتماعيا ودينيا[1] وبالغوا في ممارسة تجارة الربا والتدخل في شؤون الناس.

قد استمر اليهودي على المكر عبر التاريخ وعزموا أن لا يتخلوا عن ذلك ولهم آثار خلفوها بتونس وفاس ووادي درعة وسجلماسة وتمنطيط ولهم نماذج لنفاقهم الذي لاينتهي من خلال جرائمهم حاليا بفلسطين ولبنان وكل بلدان المشرق العربي[2].

ومن مكرهم في تمنطيط وتوات كان لهم دخل في التنفيذ الديني والسياسي الذي استغلوه لممارسة أعمالأخرى خسيسة أبرزها محاولتهم من نيل من عواطف المسلمين الدينية وكراماتهم ومن أغرب الأمور الذي كشف عنها المغيلي هو وجود يهودي متنكر في زيي إمام مسلم[3].

المبحث الثاني: دور الإمام المغيلي الجهادي

نازلة[4] يهود توات: بعدما استقر الإمام المغيلي بإقليم توات وأدرك نفوذ اليهود بالمنطقة[5]. وزاد طغيانهم وفسادهم، وسيطروا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية وخالفوا الكثير من التعاليم[6]، وأقاموا عدة كنائس ومعابد بالمنطقة.

وقد استغل يهود توات أموالهم وثرائهم الفاحش فتحكموا في القادة والساسة وأخضعوهم لإرادتهم ولخدمة مصالحهم الخاصة[1]. كما أنهم استعملوا أموالهم وسيلة لجلب الناس إلى

---

[1]_يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، المرجع السابق، ص148.

[2]_الزركشي، المصدر السابق، ص33.

[3]_يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص146.

[4]_النازلة: النوازل مجموعة مدونات من الفتاوى المتعلقة بالمشاكل اليومية، وأهميتها تكمن في كونها تعكس الواقع الاجتماعي بكل وضوح وهي إحدى مشاغل الفقهاء. انظر: محمد حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص319.

[5]_أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص43.

[6]_فوزي سعد، المرجع السابق، ص57.

صفهم[2]. وبعد أن أصبح اليهود يسيطرون على توات تحرك الإمام المغيلي من اجل إصلاح هذا الوضع وأعلن معاداته لليهود[3].

وقد أثرت نازلة المغيلي في الحركة العلمية وكانت متداولة بين علماء المدارس والزوايا، كما أنها تميزت بجريانها على ألسنة الفقهاء والمفتين في مجالسهم وضمن فتاويهم[4]، قرر المغيلي محاربة اليهود لكنه واجه المغيلي معارضة بعض علماء المنطقة.

وقسمت أرض الإسلام إلى ثلاثة أصناف: ارض صلح[5]، ارض عنوة، وارض مختلطة وتندرج توات ضمن الأرض المختلطة[6]. وحسب فتاوى الفقهاء يقول ابن القاسم: ليس لهم أن يحدثوا كنيسة في شيء من بلاد المسلمين في عنوة واقروا فيها أو اختط ذلك المسلمون فسكنه أهل الذمة معهم إلا أن يكونوا أعطوا ذلك فيوفي لهم. وقال ابن الماجشون في كتاب ابن الحبيب: أما أهل العنوة فلا يترك لهم عند ضرب الجزية كنيسة إلا هدمت[7].

العلماء المعارضين للمغيلي: لقي الشيخ المغيلي بسبب موقفه هذا مع يهود توات معارضة من قبل أنصار اليهود المسمون عندهم **بالغلائف**[8]، كانوا يقبضون منهم الآتوات وكان هؤلاء الغلائف يستندون في معارضتهم للمغيليإلى فتاوى طائفة من علماء البلاد التواتية وعلى رأسهم قاضي بلاد توات عبد الله العصنوني.

---

[1]_يحي بوعزيز، أعلام الفكر، المرجع السابق، ص146.

[2]_نفسه، ص147.

[3]_امينة احمد يحي، امينة احمد مسعود، المرجع السابق، ص34.

[4]_محمد حوتية، المرجع السابق، ص324.

[5]_ارض صلح: يجوز إحداث الكنائس فيها. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مج5، المرجع السابق، ص236.

[6]_قاضي عمارة، المرجع السابق، ص36.

[7]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص244.

[8]_الغلائف: هو مصطلح اطلقه يهود بلاد توات على القبائل التواتية التي كانوا في ذمتها وتحت حمايتها مقابل ما يفرضون عليهم من اموال. انظر: حمادى الإدريسي، الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، ج1، المرجع السابق، ص419.

عبد الله العصنوني[1]: يتزعم الآراء التي أقرت بيع اليهود بتوات، أقر بترك اليهـــود على حالهم بأرض توات وعدم هدم كنائسهم مدعما رأيه في ذلك بأن يهود توات في غاية الذل والصغار، كما أن كنيستهم بين ديارهم لا تلاصق دار أي مسلم[2]. وقع خلاف بينـــه وبين المغيلي في نازلة يهود توات في غاية الذل وكتب العصنوني رسالة في هاته النازلة قال: " سيدي رضي الله عنكم، وأدام منه عافيتكم، ومتع المسلمين بطول حياتكم. جـــوابكم الكريم في مسألة وقع فيها النزاع بين طلبة الصحراء، وهي كنائس اليهود الكائنين بتوات وغيرها من قصور الصحراء، فقد شغب علينا فيها المغيلي وولده سيدي عبد الجبار تشغيبا كاد أن يوقع في فتنة وذلك أني أفتيت في تقريرها..."[3]، وقال: " والصواب عندي تقريرها إتباعا لقول الغير اجري العمل به في كثير من مدن المغرب، وهي مما اختطه المســـلمون في صدر الإسلام وبعده، وفيها العلماء متوافرون في كل وقت، وفيهم من لا يسكن علـــى باطل. وكذلك قواعد هذه الصحراء قد حل بها علماء فضلاء، وقد شاهدوا الكنائس فيهـــا زهم ممن يتمثل قولهم في الأحيان، وقد أنكروا أشياء على أهل الذمة وعلى غلائف، ولـــم ينكروا الكنائس في جملة ما أنكروا[4]. وأكمل حديثه في رسالته ثم قال: " وأعلم يا ســـيدي أن يهود توات لهم درب اختصوا به وليس في خارجه إلا قليل منهم، وكنيستهم بين دورهم لا تلاصق دار مسلم. جوابكم لكم الأجر والسلام عليكم والرحمة والبركة "[5]. ونستنتج من

[1]_عبد الله العصنوني: هو عبد الله بن ابي بكر تصدر الاختاء و التدريس بتمنطيط لينصب قاضيا للجماعة، لقد احتكر عائلة العصنوني خطة للقضاء لمدة 150 سنة. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص325.

[2]_قاضي عمارة، المرجع السابق، ص37.

[3]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص214.

[4]_نفسه، ص115.

[5]_نفسه، ص217.

هاته الرسالة أنه ساند بيع اليهود في المنطقة ولا حاجة إلى هدمها فهو من آهل الجنة، وحكم على من منع هدمها بالنار لأنه رفع دين الكفر ونصره[1].

ومن العلماء الذين أيدوا رأي عبد الله العصنوني وأقروا ببقاء كنائس يهود توات نذكر ما يلي:

أبو العباس بن محمد بن زكري[2]: أجاب بعدم هدم كنائس اليهود قال: " هدم الكنائس المسؤول عنها لا يجوز بمقتضى الشريعة المحمدية، على رأي المحققين في الفقه المالكي الناظرين به في القضية...والموضوع قضية النزاع هدم ما وجد من الكنائس مبنيا محوزا بيد الذميين دهرا طويلا، ولم ينكر عليه احد المسلمين ولا يدل منع الأحداث على وجوب هدم المبنى المحوز على الوجه الموصوف بشيء من الدلالة الثلاث"[3]. ويرى أن أهل الذمة لهم الحق في إحداث كنيسة في أراضي المسلمين فقال: " أما أولا فلان الذميين المذكورين لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حين نزلوا لساغ لهم ذلك، ولا يسوغ منعهم على أي وجه فرضت من اختطاط أو أحياء"[4].

وقال: " فكيف يستقيم هدم ما وجد مبنيا محوزا بيد الذميين المذكورين من الكنائس، لها بأيديهم أمد طويل لا يعلم تاريخه، ولا مانع من الإنكار عليهم عادة تلك المواضع، ولا في غيرها لما قد علم من حال اليهود في غالب أحوالهم، فيجب القضاء بالملك لهم...هدم

---

[1]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص215.

[2]_أبو العباس احمد بن محمد بن زكري: هو أبو العباس التلمساني عالم تلمسان ومفتيها في زمانه، اخذ عنه ابن مرزوق الحفيد وابن زاغوا وغيرهما، وهو العالم الحافظ، المتقن، المفسر، توفي سنة 899ه/1493م. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص260.

[3]_عبد الله حمادو الكتبي، العلامة المغيلي وسياسته مع اليهود، مؤسسة البلاغ للنشر، الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ص.ص18ـ19.

[4]_احد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص219.

الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذمة وظلم أهل الذمة لا يجوز شرعا..."[1]، حيث يـــرى أن هاته الكنائس هي ملك لهم ولا يجوز هدمها ويعتبر هدمها ظلم لأهل الذمـــة وظلمهـــم لا يجوز شرعا.

أبي **زكريا بن أبي بركات:** قال في بداية نصه: "الحمد لله لإخفاء أن من معه ادعـــى مسكة من العقل فضلا عمن اتصف بالعلم إن تدبر الأوصاف المسطرة فوقه التي احـــدها يقوم مقام جميعها لا يقوم بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به لما تقرر من أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح..."[2].

وحسب رأيه يعتبر هذا العمل من درء المفاسد قال: " درء المفاسد أولى من جلـــب المصالح، ولا سيما إذا بدت لذلك إمارات وقامت عليه دلالات تقتضي تحريم الخوض في ذلك. واعتبر هذا العمل مما يشير الهرج ويحدث الفتن المؤيدة لقتل النفوس وسلب الأموال وإشعال نار الحرب بين الخلف في سائر الأفاق"[3]. وفي الأخير قال: "...والحاصل لبـــذي عليه الاعتماد واليه الاستناد في هذه القضية. أن لا سبيل لهدم الكنائس بحال حيث كانت، لأن ذلك على ما في السؤال حرام لا يسوغ شرعا، ولا يخالف في هذا أحد من المسلمين. والمعترض كذلك عاص وان كانت المفسدة مأمونة في الموضع الذي منه الســـؤال، إذ لا يؤمن وقوع الفساد في غيره وهذا هو الحق الذي لا مجيد عنه، فيجب لأجل ذلك على من قلده الله حكما من الأحكام الشرعية، وجعل له نظرا على عبادة أن يضرب على يد القـــائم ولا يمكنه من هذا الفرق، فإن مفسدته أعظم من مصلحته فما ظهر[4].

---

[1]_نفسه، ص219.

[2]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص267.

[3]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر نفسه، ص230.

[4]_نفسه، ص231.

الرصاع **التونسي[1]:** أجاب الفقيه الرصاع فقيه تونس ومفتيها بما نصه: " الحمد لله، وسلام الله الا تم، ورضوانه المبارك الأعم، يخص سادتنا ومواليا الفقهاء العلماء ومن يقف عليه من الأجواء _حفظهم الله_

سألني بعض الفضلاء من الإخوان عما يشتريه أهل الذمة من أراضي المسلمين المبتدعة على أيدي المسلمين أعانهم الله ليس لأهل الذمة أن يشترطوا بناء الكنائس في تلك الأراضي المذكورة، وليس للمسلمين أن يبنوا لهم الأرض المملوكة أو المبتدعة للكنائس بوجه ولا مانع لهم من شراء ما يبنونه لسكانهم إذ هم يؤدون الجزية وهم تحت ذمة المسلمين. وإذاياتهم ومناقصة أموالهم حيوانهم وبهائمهم لا يحل ذلك، فإنهم تحت ذمة المسلمين وجزيتهم بسنة المسلمين، تؤخذ منهم طوعا أو كرها، لا يقصدون بإذاية وإلا صارت الأرض المذكورة على ملكهم دون اشتراط لأماكن يعبد فيها غير الله تعالى، فلهم أن يتصرفوا فيها ببناء ما يحبون والسلام"[2].

العلماء **المساندين للمغيلي:** على خلاف العلماء الذين عارضوا الشيخ المغيلي في نازلة اليهود، فهناك بعض العلماء الذين أيدوه بوجوب هدم كنائس اليهود من بينهم نذكر:

ابو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي[3]: بما جاء في كتابة الشيخ سيدي محمد بن يوسف السنوسي:" الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء وسيد المرسلين، من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي غفر الله تعالى له ولوالديه بلا

[1]_الرصاع: هو محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري ثم التونسي عرف بالرصاع اشتهر بالإفتاء والقضاء، وقد شغل الإمامة في جامع الزيتونة وخطابتها تصدر الإفتاء، توفي 894ه/149م. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص330.

[2]_عبد الرحمان الكبتي، المرجع السابق، ص34.

[3]_محمد بن يوسف السنوسي: هو أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، من كبار علماء تلمسان كان منشغل بمطالعة قراءة القرآن ، له عدة مؤلفات، توفي عام 895ه. انظر ابن مريم، بستان الأولياء في ذكر علماء تلمسان، مصدر السابق، ص140.

محنة الى الأخ في الله، القائم بما ندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمـــر بـــالمعروف والنهي عن المنكر، وعمارة القلب بشريف الإيمان السيد, أبي عبد الله محمـــد بـــن عبـــد الكريم المغيلي...بعد السلام عليكم والرحمة والبركة،فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليـــه الغيرة الإيمانية، والشجاعة العلمية، من تغيير أحداث اليهود، أذلهـــم الله تعـــالى، واخمـــد كفرهم، للكنيسة في بلاد المسلمين ، وأنكر حرضتم أهل تمنطيط على هدم الكنائس التـــي لليهود ببلادهم، ... فاعلم يا أخيأني لم أرى من وقف الإجابة هذا المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفي غليل الإيمان في هذه المسالة، ولم يلتفت لأجل قوة إيمانيـــة ونصـــوع إيقانه إلى مايشير به الوهم الشيطاني من مداهنة بعض من تتقى شوكته، ويخشى أن يقـــع على يده إضرارأو حط في المنزلة سوى الشيخ الإمام القدوة على الأعلام الحافظ المحقق أبي عبد الله الجليل التنسي[1].

ابي مهدي **عيسى بن احمد الماواســـي[2]:** فقد أجاب بها نفسه "الحمدلله وحده دائمـــا، الجواب والله بمنه الموقف الصواب بفضله، أنالمنزله توات وغيرها من قصور الصحراء هي كلها ديار إسلام، فلا ينفي المسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وان قال به جماعـــة العلماء إلاأن يكون دللك شرطا لهم في عقد جزيتهم، فيوفي لهـــم بمـــا عهـــد لهـــم فـــي جزيهم.هذا المذهب المدونة وهو قول ابن القاسم المحمول به والمعـــروف، فـــلا يحســـن العدول عنه مع ظهوره ووضوح وجهه، إلا أن يثبت عند هذا المفتـــي بتقريـــر الكنـــائس

[1]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص246.

[2]_أبو مهدي عيسى المواسي: هو أبوموسى عيسى بن احمد المواسي من قبيلة بطوة الريفية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط سكن مدينة فاس اتخذ خطة الفتوى فيها بعد الإمام القورب وضل يخطب بجامع فاس الجديد نحو سنتين توفي سنة 893ه/1488م. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المصدر نفسه، ص329.

المذكورة أن حدوثها كان شرطا مشترطا لليهود في عقد جزيتهم كما جرى العمل في ذلك من البلدان الإسلام، فتصح فتياه ويحسن تقريره لموافقته المشهورة[1].

احمد بن يحي الونشريسي[2]: كان رأيه بوجوب هدم كنائس اليهود، فجاء على لسانه: " قلت: الحق الأبلج الذي لا شك فيه ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المسامته لتلول المغرب الأوسط المختلطة وراء الرمال المتهيلة التي لا تنبت زرعا ولا ضرعا بلاد إسلام باختطاط، لا تتقرر الملاعين اليهود _أبعدهم الله_ فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق ابن القاسم والغير، ولا حجة لهم في الحوز الأعم لا إشعار له بالأخص المعين، لأن حاصلة تردد الحوز بين الإذن وعدمه وذلك عن الشرك في الشرط..."[3]. قال القرطبي في أحكامه عن ابن خويزمنداد عند قوله تعالى: وَلَوْلَا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ "[4]. تضمنت هذه الآية المنع من هدم كنائس أهل الذمة وبيع بيوت نيرانهم ولا يتركون أن يحدثوا ما لم يكن، ولا يزيدون في البنيان لا سعة ولا ارتفاعا، ولا ينبغي للمسلمين أن يدخلوها ولا يصلوا فيها ومتى أحدثوا زيادة وجب نقضها[5].

---

[1]_عبد الرحمان حمادو الكتبي، المرجع السابق، ص28.

[2]_احمد بن يحي الونشريسي: من أقران الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وهو الذي نصحه بالخروج من تلمسان، ولد بجبال الونشريس في غرب الجزائر حوالي 834ه/1430م ونشأ بمدينة تلمسان درس على يد عبد الله بن عباس ودرس على يد أبو الفضل القاسم بن سعيد العقباني سنة 851ه/1447م له العديد من الكتب وأهمها المعيار المعرب في ذكر فتاوى إفريقيا والمغرب. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مج5، المرجع السابق، ص223.

[3]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص232.

[4]_ البقرة، الأية251.

[5]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر نفسه، ص232.

وفي(سراج الطرطوشي) فأما الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة وأمرألا يظهر صليب خارجا من الكنيسة إلا كسر على رأس صاحبه.

وشدد عمر بن عبد العزيز وأصر أن لا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة ولا حديثة[1].

وفي آخر الثاني من أحكام ابن سهل فذكر: ذكر ابن حبيب في ثالث جهاد الواضحة عن ابن الماجشون عن مالك أن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: " لَا تَرْفَعِنَّ فِيكُمْ يَهُودِيَّةُ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ ".

وقال ابن الماجشون: لا تبني كنيسة في دار الإسلام ولا في عمله إلا أن كانوا أهل ذمة منقطعين عن دار الإسلام وحريمه، ليس بينهم مسلمون فلا يمنع من بنائها بينهم ولا من إدخال إليهم ولا من كسب الخنازير. وإن كانوا بن أظهر المسلمين منعوا من ذلك كله[2].

أبا قاسم العبدوسي: وكان نص الجواب: الحمد لله ليس لهم إحداث ولا إصلاح في شيء من بلاد المسلمين قاله ابن القاسم عن مالك في كتاب (الجعل والإجازة) من المدونة وإذا فعلوا ذلك بعد النهي عنه كان نقضا للمذمة التي لهم، وهو مجمع عليه ان بلاد المسلمين ليس لأحد منهم أن يحدث فيها متعبدا ولا يصلحه، وإذا نهو عنه ولم ينتهوا صار

[1]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مج5، المرجع السابق، ص224.

[2]_عبد الرحمان حمادي الكبتي، المرجع السابق، ص39.

ذلك منهم نقضا للعهد فتكون أموالهم للمسلمين وتكون ذراريهم مستباحة على حكم الحربين في بلاد الحرب، وتكون أولادهم ونساؤهم للمسلمين[1].

قال الله تعالى: " لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ "[2].

ابو عبد الله بن غازي[3]: لخص رده في جمل "... هذا كتاب جليل، ظهر عن نص خليل، وعلم بصواب كفيل وصاحبه غريب في هذا الجبل بيدي انه أطلق الكفر عن **التظليل**"[4]. وقال أيضاأن من يتعامل مع اليهود والنصارى فهو كافر مثلهم.

رأي المغيلي على معارضيه: قال إن هدمها واجب. وقال لا يعلم فيها خلاف. وقال لايعني بتقريرها إلا دجال والمغيلي في بعض الأوقات على رؤوس الإشهاد يدعي الإجماع ويقول لمن يدعوه إلى هدمها: (تهدم وإن أدى ذلك إلى قطع الرؤوس. ومن مات يريد هدمها فهو منأهل الجنة، ومن الآخرين فهو من أهل النار)[5]. ودعم رأيه ببعض الآيات من القرآن الكريم قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ "[6]. وقال أيضا: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

---

[1]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص244.

[2]_ المجادلة، الآية 22.

[3]_ابن عازي: ولد سنة 841ه، 1427م توفي 919ه، 1513هو محمد بن احمد بن علي بن غازي العماني المكناسي، مؤرخ، عالم تغير، والحديث والقراءات والحساب والأدب من فقهاء المالكية من قبيلة كتامة بمكناسة الزيتونة من تلامذته عبد الواحد الونشريسي. انظر: مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، المرجع السابق، 330ص.

[4]_التظليل: ويعني به ابن غازي ما استنتجه المغيلي من الآية: "يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ". سورة المائدة، الآية 51.

[5]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مج5، المرجع السابق، ص255.

[6]_ المائدة، الآية51.

بِاللّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ "[1].

وقد حكم على من الذين منع هدمها بالنار لأنه رفع دين الكفر ونصره[2].

المبحث الثالث: ثورات المغيلي ضد يهود توات

ثورة المغيلي الأولى 882ه/1477م: بدأ الشيخ المغيلي ثورته الأولى على يهود توات سنة 882ه/1477م وكانت أول خطوات هذه الثورة هي هدم بيعهم التي أحدثوها في تمنطيط وغيرها من واحات والقصور التواتية وكان وصول جواب العلماء الموالين لرأيه، خاصة جواب الشيخين السنوسي والتنسي هي الشرارة الأولى التي زادت في حماسة وجراءته في حربه على اليهود حث أمر المناصرين له من أهالي توات بالاستعداد والتجهيز بآلات الحرب، فقصدوا بيعهم كما أمر بقتل من عارضهم في طريقهم سواء من اليهود اة من المدافعين عنه حيث كان يقول: " ويل لهؤلاء اليهود وهم الذين ينصرونهم في تعدي الحدود "[3]، وقال الله تعالى " أولئك الّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "[4].

هناك العديد من الروايات الشعبية المحلية التي تعلم سبب انتفاضية المغيلي الأولى على اليهود والتي عمل على أجلاهم من خلالها، منها أن احد اليهودي تعدى على فتاة مسلمة من أهلالي توات، ومنها أيضا انه هناك يهودي متنكر في زيي إمام وكان منافقا يظهر الإسلام ويبطن كفره بلغ كيده للإسلام والمسلمين أن يرش المصلين بالبول في

[1]_ التوبة، الآية29.

[2]_مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المرجع السابق، ص256.

[3]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص437.

[4]_ الرعد، الآية5.

صلاة الفجر وغيرها من الصلوات فأحتال المغيلي على إظهار كيده ونفاقه في الدين فجعل قنديلا في إناء مغلق واتى به المسجد في صلاة الفجر فإن بدأ اليهودي برش الناس حتى فتح المغيلي الإناء وظهر الضوء فوجد الرش بولا فأسرع اليهودي هاربا فتبعه الشيخ حتى لحق به عند قورارة من الأرض فقتله[1]، ومهما يكون من أسباب ودوافع أدتب المغيلي إلى المحاربة وإجلاء اليهود فإنه تمكن من جمع أنصاره وأصحابه فخربوا بيعة تمنطيط وهدموها كما هدموا البيع الموجودة في البيع الأخرى وقد نظم في ذلك عدة قصائد في مدح الرسول صل الله عليه وسلم وذم اليهود ومن نصرهم وجعل فيهم حب النبي يقابله بغض اليهود وفي هذه الأثناء وقعت حادثة تمثل صورة من ور الاستعلاء الذي كان عليه يهود توات، حيث كانوا يمرون على المسلمين بدون تقديم التحية والسلام عليهم ففي احد المرات كان الشيخ المغيلي في ضيافة احد أعيان قصر تاخفيت يعتبر احد مراكز اليهود في إقليم توات[2]، وقصر بجوارهم عدد من اليهود وأنصارهم ولم يقدموا التحية بل تجاوزوا هذا الحد عندما تطاول منهم احد شيوخ القبائل المساندة برمي حفنة من الرمال على مجالسهم[3].

وبعد هذه الأحداث والتطورات وجد يهود توات أنفسهم مضطرين إلى اختيار مصيرهم المحتوم والذي هو بين الموت آو الفرار، ويبدو أنهم كانوا اضعف واجبن من أن يصدوا إصرار وحماسة المسلمين بقيادة الشيخ المغيلي حيث قال لأنصاره قائلا " يجب على كل مؤمن أن يستحضر بغض كل كافر لنبينا وسيدنا ومولانا ويستحضر عظيم

[1]_احمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص265.

[2]_احمد بن يحي الونشريسي، المصدر السابق، ص227.

[3]_محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر من محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط، ط2، 1977، ص130.

عدوتهم لنا وطعنهم علينا في ديننا وان كل كافر منهم ولي الشيطان اللعين العدو المبين بل أن كل يهودي هو ابليس بعينه[1].

فما كان من أغلبية اليهود إلا أن هلعوا وفزعوا لربح المغيلي هذه الحملة فجعل الليل ستارا لهروبه وراء ضلمته الابتعاد عن المنطقة إلى حين والنجاة بأنفسهم وبعد انتفاضـــية الشيخ المغيلي الأولى على يهود توات قرر السفر الى فاس للاستقطاب لتأدية قضيته مـــن السلطة الوطاسية إطلاع علماء فاس على دسائر اليهود وتنكرهم لأحكام الشرعية الخاصة بهم في كنف المجتمع المسلم، ولكي يوضح أفكاره التي حوتها رسالته التي بعث بها إلـــى العلماء والفقهاء ويذكر أن المغيلي اصطحب في هذه الرحلة ستة من المماليك السودانيين كانوا يحفظون المدونة ويبدوا أن غرضه الأساسي من وراء هذه الرحلة كـــان مناضـــرة العلماء المخالفين لرأيه في مسألة بيع اليهود فحضرة السلطان الشيخ أبي زكريا الوطاسي حيث تلقاه العلماء خارج مدينة فاس السلام عليه والترحيب به " فلما تمكن من بـــالجلوس بالفقهاء عند حضرة السلطان قال لأحد المماليك، تكلم مع الفقهاء في نازلة اليهود فـــأنفقوا الكلام مع المماليك وعادوا إلى ديارهم، فلما كان من الغدر ركبوا إلى السلطان وقالوا لـــه من اجل المنافسة في المغيلي إن هذا الرجل مراده الظهور و الملك وليس مـــراده الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر"[2]

لقد كان لهذه الواشية واقع كبير في موقف السلطان الوطاسي من المغيلي حيث اتهمه بالوضوح السياسي ومحاولة الوصول إلى السلطة لإصلاح الشيء الـــذي أنكـــره الشـــيخ

[1] _شبايبي ياسين، إقليم توات خلال القرن 9ه/15م وموقف الشيخ المغيلي التلمساني من يهودها، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص11.

[2] _شبايبي ياسين، المرجع السابق، ص18.

المغيلي عن نفسه، ودافع عن موقفه وآراءه بشدة[1]، وبعد هذه الرحلة التي انتهت بالفشل في ظاهرها أسس المغيلي إمارة صغيرة خاصة به تقع في الناحية الشرقية في توات وعاصمتها بوعلي بعدما كانت تمنطيط عاصمة هذا الإقليم، وتقوم أساسا على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية والأحكام المعينة بالشرع من الكتاب والسنة واجتهاد الصحابة والتابعين من السلف الصالح لا على أهواء القضاة وإحكام العرف التي كانت مضلة في كثير من الأحياء حيث كانت تخدم بالدرجة الأكبر لرؤساء القبائل والمدافعين عن اليهود، وتهميش الصالح العام لأهالي توات وكان جهاز الشرطة من أول الأولويات التي سعى المغيلي إلى إقامتها، حيث عين عليه ابنه عبد الجبار وكان يضم في صفوفه إفرادا من خيرة أنصاره والموالين للحملة الأولى على اليهود، وكان غرضها من إنشاءها هو حماية النظام الداخلي لإقليم توات ببسط الأمن في كامل القصور التابعة للإمارة الجديدة[2].

كما أصبح لإقليم توات بعد هذه التطورات قاضيان شرعيان الأولى في الجهة الشرعية هو الشيخ المغيلي والقاضي الثاني في الجهة الغربية هو العصنوني والمغيلي قد رفض فكرة الطموح السياسي في مقابلته للسلطان الوطاسي في رحلته التي قادته إلى فاس، ورفض بشدة أن يكون عمله الإصلاحي بتوات يخفي من وراءه أهدافا سياسية اقبل على إنشاء إمارته بعد عودته مباشرة من توات[3].

يبدوا أن المغيلي كان صادقا إلى حد ما في نواياه فكانت لا بد له من إكمال ما بدأ به في دعوته الإسلامية في تغير منكر اليهود ووضع حد لتسلطهم وتطاولهم على الإسلام والمسلمين بتوات كما كان لإنشائه لإمارة بدافع الحفاظ على الطابع الإسلامي، حيث كان

[1]_احمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستر، تاريخ والحضارة الإسلامية، وهران، 2000/1999، ص114.

[2]_احمد الحمدي ، المرجع السابق، ص12.

[3]_احمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص266.

مركزها بزاويته التي أسسها بقصر بوعلي كما انه لم يستغرق وقت طويل حتى ارتحل ببلاد السودان الغربي للدعوة والإصلاح [1].

الثورة الثانية 902ه/1496م: بعدما سافر الشيخ المغيلي إلى بلاد السودان الغربي قد الدعوة إلى الله عزوجل، ومحاولة إصلاح القيم والأخلاق من الشوائب والبدع والخرافات التي استحكمت الكثير من الشعوب تلك البلاد، جاءه الخبر بمقتل ابنه عبد الجبار بتوات من جهة اليهود بينما كان هو موجود بكانو وقد آثار ذلك في نفسيته الحقد والغضب من جديد على اليهود وأنصارهم حيث انه طلب من أميركانو ساقيا الحاج محمد الأول على التواتيين المتواجدين بالبلاد غير انه تراجع عن ذلك، بعدما تدخل الشيخ أبو محمود بن عمر وكان من المقربين من الأسقيا[2].

عندما وصل المغيلي إلى توات وجد اليهود قد عادوا إلى توات وكان الذي سعى في إرجاعهم، هو الشيخ عمر بن عبد الرحمان وكأن شيء لم يكن حيث عادوا إلى أماكنهم بتمنطيط وصناعتهم غيرها من الواحات والقصور ولقد صعب توطأ للدولة الوطاسية مع أعداءالمغيلي من رؤساء وقبائل وشيوخ بارزين في حربه على اليهود في هذه المرة، فقد أمدتهم بالأسلحة والمؤونة، إضافةإلى اتحاد بعض القبائل بتمنطيط في نصرة اليهود وقد كانت متنازعة قبل هذا العهد وتولت الزعامة في هذا الخلف قبيلة أولاد علي بن موسى حيث يذكر أنأهلتمنطيط على شهرة في الرعاية أي الزعامة[3]، التي أرادها العرب وأهلها يأبون ذلك لعلو نسبهم في الأصل ولكنهم دار رياسة أن لم يملكوا فلا أقل من أن لا يملكهم احد وبقيت كلمتهم بيدهم لا لغيرهم، ومن القبائل التي ضمها هذا الحلف قبيلة أولادنسلام وقبيلة أولاد نجدة وليس في عرب توات اقطع منهم ولا اشد منهم بؤساوأما أولاد الحاج

[1] _نفسه، ص267.

[2] _احمد بابا التنبكتي، المصدر نفسه، ص265.

[3] _احمد الحمدي، المرجع السابق، ص120.

فهم عقبة فحين كان في صف المغيلي قبيلتين أولادأمحمد والبرامكة وبدأ يرفع من همم أنصاره بأن جعل لكل من يقتل يهوديا سبع مثاقيل ذهبية[1]، وحثهم على الجهاد والاستشهاد في سبيل رفع الحق والتخلص من ظلم وتحكم اليهود وبعدما تمكن الشيخ المغيلي من إعداد جيشه زحف به إلى قصور زاقلو[2] قبل أن يصل به إلى تمنطيط حيث قتل كل من وجدهم من اليهود وعندما اقترب من تمنطيط خرج إليه الشيخ عمر بن عبد الرحمان في جيش كبير والتقى الطرفان حذو قصر أولاد إسماعيل الواقعة في الجهة الشرقية في تمنطيط أينما وقعت بينهم ملحمة عظيمة مات فيها جمع غفير من كل الطرفين، وكان النصر في النهاية الشيخ عمر بن عبد الرحمان وكان وقوع ذلك في حدود 902ه/1496م ويعد هذا الفشل كبير للمغيلي في حربه على اليهود، استقر به المقام في زاويته ببوعلي إلا انه وفاه الأجل سنة909ه/1503م مخلفا وراءه أعمال تفتخر به الأجيال غاب عن مديره وتلاميذه وترك بينهم قلوب تنبض بالإيمان الصادق وتنطق بالاعتراف كرجل جعل حياته هبة لخدمة الدعوة الإسلامية[3].

خروج اليهود من توات: ما من شك أن حملة المغيلي على يهود توات كانت من منطلق إدراكه العميق للواجب الديني الذي يدعوا إلى حمل راية الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين، وإن حملة المعارضة التي لقتها حملة المغيلي من علماء توات كان منطلق إدراكهم العميق لمدى انعكاسات الحملة السلبية على توازنات الواقع الاقتصادي للمنطقة التي عرفت انهيار اقتصادي رعيب بعد إجلاء اليهود حيث تعطلت الكثير من الأنشطة الاقتصادية التي حصر نشاطها عليهم كصناعة الذهب والصابون وغيرها من

[1]_احمد بابا التنبكتي، المصدر السابق، ص265.

[2]_قصور زاقلو: من القوى الواقعة حاليا ببلدية زاوية كنتة، ولية ادرارا وهم من القصور الكبيرة التابعة لقصور سمست الواقعة في المنطقة الوسطى من إقليم توات. انظر: شبايبي ياسين، المرجع السابق، ص18.

[3]_ابن عبد الكريم محمد، أضواء في إقليم توات، مؤسسة الجزائر، تلمسان، ط1، 2002، ص158.

المهن الدقيقة التي لا يتمكن أهل توات من اكتسابها، والواقع اليوم يؤيد إلى حد ما هذه المسألة باعتبارأن هذه المهن اختفت تماما من قاموس الحرفي المحلي[1].

ويتمثل العمل الإصلاحي للشيخ المغيلي في قضية يهود توات انه حاول تطبيق مبادئ الإسلام، فكان عليه أن يبدأ بتنفيذ العقوبات الشرعية على أهل الذمة بهدم بيعهم التي أحدثوها ثم محاربتهم حيث حلت دمائهم وأموالهم برغبتهم ببنائها في توات[2]. ورغم نجاح الشيخ المغيلي في حربه الأولى على اليهود إذاستطاع إجلائهم إلا انه فشل في حربه الثانية عليهم حيث استوطنوا الإقليم التواتي من جديد ويعود هذا الفشل إلى عدة اعتبارات منها الدولة الوطاسية لمصالحها الاقتصادية بتوات، النفوذ الكبير الذي كان يتمتع به اليهود علاقتهم الواسعة داخليا نع شيوخ الإقليم وحتى مع القادة وأهل السلطة في خارج الإقليم وكذا بالتحالف الذي تم بين بعض القبائل التواتية مع اليهود[3].

وقد تراجع الجانب الاقتصادي للإقليم حوالي عشرين سنة وهي الفترة الممتدة بين الثورة الأولى عليهم والتي كانت في سنة 882ه/1477م والمنتهية بإجلائهم عكس الثورة الثانية حيث عادوا بقوة بعد هزيمة المغيلي في حربه الثانية عليهم[4].

نتائج الشيخ المغيلي على يهود توات: كان موقف المغيلي من قضية توات لها إبعاد بالغة الأثر على المستوى المكاني والزماني القريب وحتى البعيد فقد أدى أجلاهم بعد الحملة الأولى عليهم من خلق أزمة اقتصادية في المنطقة حيث كانت توات مركزا تجاريا هاما وحلقت وصل بين تجارة بلاد المغرب الإسلامي وارويا من جهة وبلاد السودان

[1]_عبد الرحمان بن عثمان، حملة المغيلي على يهود توات و آثارها على الواقع الحرفي في المنطقة، جامعة بشار، العدد4، 2013، ص26.

[2]_شبايبي ياسين، المرجع السابق، ص19.

[3]_شبايبي ياسين، المرجع السابق ، ص20.

[4]_ابن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص160.

الغربي من جهة أخرى، وكان اليهود هو المحرك الأساسي لهذه التجارة لطبيعة علاقتهم الخارجية الجيدة وخبرتهم ونفوذهم الكبير في العديد من الإمارات والحكومات وبإجلائهم تعطلت التجارة الآتية من بلاد السودان الغربي والمتوجهة نحو اروبا عبر موانئ تلمسان[1]، إذ كان تجار توات خاصة اليهود منهم يمثلون موردا اقتصاديا هاما لجميع الدول التي سبقت الدولة الوطاسية وقد عين الشيخ عمر بن عبد الرحمان نقيب لها على توات حيث استطاع هذا الأخير على ما تبقى من أنصارالمغيلي في سنة 909ه/1503م حيث اقبل على تخريب وهتك قصور قبيلة أولاد محمد الذين كانوا من اكبر تبعة الشيخ المغيلي في حربه على اليهود[2]، وقد كانت حملة الشيخ المغيلي الإصلاحية في إجلاء اليهود لقيت استحسانا كبيرا عن غيرها من مناطق الصحراء وكذلك بلاد السودان الغربي حيث وقع التضييق على اليهود ومنعوا من الإقامة في بعض الجهات، وإذ كان تمركز الوطاسين قضى علميا على جميع النزعات الإصلاحية التي قد تضيق اليهود، فإن أفكارالمغيلي ظل صدها يتردد في أرجاء المغرب طول عهد هذه الدولة وفي إمارة تانبكتو في بلاد السودان الغربي اصدر الأسقيا محمد الأول مرسوما يقضي بتحريم بلاده على أي تواجد للجالية الهودية[3].

انعكاسات الثورات:

1. **تراجع الصناعات الحرفية:** أدىإجلاء اليهود من تمنطيط وتوات إلى اختفاء العديد من الصناعات الحرفية حيث تلاشت تماما صناعة الحلي الذهبية والفضة وصناعة الصابون بينما بقيت بعض الحرف الأخرى كالحدادة والتجارة الخشبية وغيرها، والواقع على الصناع التقليدين في توات سوف لم يجد من بينهم صبانا ولا صائغا.

[1]_شبايبي ياسين، المرجع نفسه، ص20.

[2]_ابن عبد الكريم المغيلي، المصدر نفسه، ص161.

[3]_محمد حجي، المرجع السابق، ص271.

2. **تلاشي الأهمية التجارية لتوات:** بعد حملة المغيلي تراجعت أهمية الطريق التجاري المارة بتوات لصالح طريق آخر وهو طريق تنبكتو فتواترت أوضاع توات بعد صراع المغيلي مع خصومه أدىإلى حالة لا أمن فخشوا التجار على تجارتهم جعلتهم يختارون طريقا آخرا أكثر امن هو الطريق الشرقي المتوجه من تنبكتو إلى غدامس في المغرب الأدنى[1].
3. **فقدان المكانة التجارية لتوات:** تقدم المصادر التواتية الكثير من المعلومات حول تداعي مكانة توات التجارية بعد إجلاءالمغيلي لتوات وتلمس ذلك في تلك الشكاوي التي قدما أعيان قبيلة أولاد علي بن موسى التمنطيطي الى شيخه عمر بن عبد الرحمان، بعد تعطل تجارتهم بغياب الصنائع التي كان يتعاطاها اليهود، ولم تعد أيضا تلك القوافل تتقتطر على توات وفرغت أسواقها وهذا الذي أدى به إلى الثورة ضد المغيلي[2].

وفي الأخير نستنتج أن الشيخ المغيلي اجتهد في بث العلم وجاهد أعداء الدين وأقام ثورته على اليهود تلك الثورة التي لا زالت تتردد إلى الآن بين المسلمين وغيرهم وقد خالف في ذلك القاضي عبد الله العصنوني حتى ترافع بنازلتهم ومحاوراتهم بعلماء الأفاق والمغرب فوافق رأيه أكثر ما قاله العصنوني بناءا على الظاهر ووافق أهل الظاهر والباطن الإمام السنوسي والتنسي، واستنصر المغيلي بهما وبالغاية الربانية على إجلاء اليهود كما ظل مهتما بقضية اليهود إلى أنانتصر لقضيته بعد سنوات من الصبر تمكن من طرد اليهود وإصلاح الأوضاع.

[1]_أبو بكر ميقا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من ق 5ه_12ه، مكتبة التوبة، الرياض، (د.ط)، 1997، ص134.

[2]_عبد الرحمان بن عثمان، المرجع السابق، ص27.

خاتمة

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هو احد علماء القرن 15م فقـــد اشـــتهر بعلمه الواسع وعرف عنه اجتهادات وثورات فكرية وإصلاحية، غادر تلمسان ولجأ إلى توات وهناك جلس للتدريس وضاع صيته في كامل الصحراء ويعد واحد مـــن أقطاب الفكر المالكي قي الجزائر نبغ وتبحر فيه فألف واجتهد كان لمذهبه انتشـــار واسع مما يؤكد على دوره الإصلاحي البارز.

ولقد ترعرع الإمام المغيلي ونشأ في أحضان كوكبة من ابرز علماء الأمـــة الأجلياء وشيوخها، أوله الشيخ موسى بن يحي المغيلي المازوني وآخره الشيخ عبـــد الرحمان الثعالبي ووسط هذه البيئة الحافلة بالنشاط المعرفي نشـــأ الإمـــام المغيلـــي مترددا على موطن الدرس معلما ومتعلما.

كما خلق المغيلي وراءه تلاميذ كثيرون يعدون بالآلاف، ما يزالون حتى الآن يدينون له بالولاء الفكري والأدبي وكتب الكثير عنه وعن سيرته كان خـــلال كـــل إسفاره يدرس ويفتي ويعلم ونشر أفكاره هنا وهناك لذلك كان من الصـــعب حصـــر تلاميذه بشكل دقيق، وخاصة أن المغيلي كانت له حلقات علمية كثيرة لمساجد توات.

وقد ألف العديد من المؤلفات الفقهية ولقد كان قلمه سيالا وبحرا غزيرا فـــي ميدان التأليف، وهدفه في ذلك الدعوة والإرشاد وتنقية الإسلام من دعوة صـــريحة لإصلاح الأوضاع الاجتماعية السياسية، وقد سلك المغيلي للتأليف مـــنهج الأنبيـــاء والرسل سواء في تغليب الحكمة والموعظة الحسنة أو في تطبيق الشرع الإسلامي، غير أناكبر باب ألف فيه هو باب الفكر والفلسفة والمنطق.

لقد اختلف المؤرخين في أصل التسمية وقدموا في ذلك تفاسير وأخبار كثيرة في معناها ومصدرها، أبرزها أن توات أطلقها الطوارق والعرب علـــى الواحـــات المنتشرة في ضفاف واد الساورة وواد مسعود.

يتوسط إقليم توات الجهة الغربية من الصحراء الكبرى التي ينتمي إليها ويقع في الجنوب الغربي للجزائر ويتشكل من ثلاث وحدات أساسية هـــي تينجـــورارين وتوات الوسطى وتيدكلت.

يسود الإقليم مناخ صحراوي جاف، يتميز بالحرارة الشديدة في فصل الصيف والبرودة في فصل الشتاء مع جفاف طول أيام السنة لهذا يقل سقوط المطر بداخلـــه كما يتعرض الإقليم لزوابع رملية قوية، وتقطع صحراء الإقليم عدة أوديـــة وتعتبـــر المياه الجوفية المصدر الرئيسي للمياه الداخلية ومنها تستمد الأباروالفقاقير مياهها.

لا تختلف المنطقة في تضاريسها عن باقي المناطق الصحراوية واهم معـــالم السطح، السهول الرملية أو العروق وفي مقدمتها العرق الغربي الكبير الذي يأخـــذ أجزاء كبيرة من منطقة تينجورارين، وأما الشطوط والسباخ فتتركـــز أساســـا فـــي منخفض تيدكلت أين تصب العديد من الأودية، أما العرق فقد يشغل مســـاحات مـــن الإقليم.

قد كانت توات أهلة بالسكان منذ أزمنة ما قبل التاريخ إذ سكنها الإنسان منـــذ مليوني سنة وقد كان إقليم توات مركز استقطاب محوري خـــلال فتـــرات زمنيـــة متعاقبة حيث جلب إليه العديد من الأجناس والأعراق والقبائل ويأتي على رأسها هذا المزيج الاجتماعي البربر، العرب، الزنوج، الحراثين واليهود، فعليـــه أن المجتمـــع التواتي يتكون من خمس شرائح رئيسية وكانت النتيجة الحتمية لهذا التمازج والخليط

أن المجتمع التواتي تمايز طبقي قوامه ثلاث طبقات طبقة العليا، طبقـــة الوســـطى، طبقة الدنيا.

لقد ضم إقليم توات عشر مقاطعات رئيسية من بينها بودة، تيمي، تمنطـــيط، وعرف إقليم توات الكثير من التقلبات والتغيرات بسبب الأنظمة المتعاقبة وقد وجدوا أهل توات أنفسهم مضطرين لضبط الموازين الشرعية وإيجاد المخرج من المشاكل التي كانت تعيشها توات فعلى إثر ذلك وسع سلطة القضاء وعينو رؤســـاء القبائـــل وأهل الحل والربط.

وكان موقع توات من حيث هو معبر حتمي للقوافل التجاريـــة بـــين المـــدن الشمالية وجنوب الصحراء أضفى على المنطقة حركة اقتصادية نشطة كما الاقتصاد أساسا يعتد على الفلاحة ثم الصناعة ثم التجارة والمركز الرئيسي في الفلاحة هـــو النخلة، كما اعتمدوا على إمكانياتهم الموجودة والمواد المتوفرة مثل الخشب، أما من الناحية التجارية أن الموقع الإستراتيجي للإقليم أعطى دورا إيجابيا لصـــالح ســـكان المنطقة وكان للتجارة في الصحراء تتم بالتبادل في معظـــم الأحيـــان نظـــرا لقلـــة العملات.

رغم أن الجماعة التواتية جماعة طبقية في تركيبهـــا إلا أن روح المؤاخـــاة والتعاطف تسود أفراد الجماعة علاوة على إكرامهم للغريب والمسالمة مع جيرانهم، وهذا يرجع إلا أن المجتمع مجتمع متدين وغرس الإسلام في نفوس أهله، فالمجتمع التوات يعتبر من افصل المجتمعات من حيث متانة العلاقات العامة حتى أن الزائـــر لتوات لا يلقى أدنى شيء من الدقة والحرج.

كما كانت توات منذ تاريخها المبكر منارة للعلم وسط الصحراء الشاسعة فكان إقليم توات مزدهرا بنشاطه العلمي فكان التواتيون أشد حرص غلى العلـــم وطلبـــه وكان نظام التدريس والتعليم عنده يتم عبر مراحل تبدأ بالكتابة ثم الزاوية ثم المسجد بالنسبة للتعليم الثانوي، أما الإجازات العلمية والأدبية فيمنحها بالنسبة للتعليم النهائي كبار العلماء، كما عرف إقليم توات بأنه أرض آمانواطمئنان وهو ما جعله مقصـــد عدد كبير من العلماء من كافة الأقطار العربية والإسلامية ولعل مختلـــف النـــوازل والتأليف يعد مرآة عاكسة لكل من يعج به المجتمع مـــن عـــادات وأنمـــاط ثقافيـــة وعلاقات فكرية وعلمية.

كان دخول الشيخ المغيلي إلى توات هو زمان آخر الدولة المرينية بـــالمغرب فود توات مهملة مقتصر حكامها على شيوخ بلدانها وقد ظهر فيها الفساد والمنكر.

غادر المغيلي تلمسان بسبب الفساد السياسي الذي كان يسود تلمسان وأصـــبح المجتمع معروفا بالانحلال الأخلاقي وأول أرض نزل بها هي توات وبالضبط منطقة أولاد سعيد، وقد وجد هاته الرقعة قد استحوذ عليها العصابات اليهودية وفق قواعـــد وأحكام ونظام لا يخدم سوى مصالحهم وهذا ما أغضب المغيلي وبسببهم استطاع أن يغير الكثير من الأمور.

قد عمل الإمام المغيلي في منطقة أولاد سعيد ببناء مسجد كان هدفه توســـيع دائرة إشعاعه الإصلاحي، ومصلى العيدين وقد خصصه لصلاة العيدين بالإضـــافة إلى السوق وهي تستعمل لغرض تجاري لكن وفق لقواعد ومناهج إسلامية، وكرسي كان يجلس لحل النزاعات والمشاكل التي تحدث في السوق وهـــو يعتبـــر مجلـــس

القضاء والإفتاء يقصده العامة والخاصة، وكان بتعبد بخلوته الـــذي كـــان يقصـــدها لغرض العبادة بالإضافة إلى متاعب الحياة وفوضى السوق.

قام يهود تمنطيط ببناء بيعة كبيرة وهذا ما أغضب الإمام المغيلي واعتبرهـــا إهانة للمسلمين لهذا قرر الإمام المغيلي وضع حد لهذا التطاول اليهودي وقد قـــرر المغيلي بهدم هذه البيع.

اهتم المغيلي بالفقه ودرسه في العديد من القصور وكان يجمـــع بـــين العلـــم والعمل، وقد اعتمد على العقيدة الإسلامية والتوحيد أولى اهتماماته فقد وقف نفســـه لتصحيح عقائد الناس.

أسس الإمام المغيلي إمارته وزاويته بقصر بوعلي، وبدأ نشاطه التعليمي بها وقد جمعت هذه الزاوية بين المهام الحربية والمهام التعليمية.

قد كان لزاويته دورا مهما قد كانت تعتبر مركز للعبادة والتعليم والتربية كما كانت ثاني أكبر مركز للقضاء بتوات بعد تمنطيط، كما عملت علـــى نشـــر الفكـــر الصوفي القادري من خلال نشر الطريقة القادرية.

كانت دعوة الإمام المغيلي الإصلاحية في وجه اليهود لم تقف حـــائلا بينهـــا وبين دعوته العلمية بل العكس من ذلك تماما فقد ظل الشيخ خلال مســـيرة حياتـــه متنقلا بين ملوك الأمة وأمرائها في الغرب الأوسط ناصحا وومرشدا معلما ومفتيـــا، متخذا في ذلك عنصر الحوار والإقناع.

عرف إقليم توات في قلب الصحراء تواجدا مهما للطائفة اليهوديـــة، والتـــي تكونت عبر عصور مختلفة وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها اليهـــود الأصـــليين

المهاجرة، الغلائف وقد سنوا حارات خاصة بهم وأن أغلب يهود توات ذو أصـــول بربرية اعتنقت الديانة اليهودية دون تعلم اللغة العبرية.

يرجع وجود اليهود في توات إلى ما قبل الميلاد هذا من جهـــة ومـــن جهـــة أخرى أن بعض الأفارقة السود اعتنقوا الديانة اليهودية وظلوا متمسكين بها ســـنين عديدة إلى ظهور النصرانية.

قد وضعوا اليهود أيديهم على التجارة العابرة للصحراء بنشاطهم وحنكـــتهم، كما احتكروا صياغة الذهب والفضة والصرافة النقدية والماليـــة، واحتكـــوا أيضـــا بالأعيان والحكام في المدن والقصور كما تمكنوا من ربط علاقات اجتماعيـــة مـــع السكان المسلمون وقد تدخلوا في شؤون السياسة.

لقد كان بتوات جالية يهودية طاغية بمالها الفاحش وثراءها المتزايـــد الـــذي إكتسته بالربا ونمته بالتجارة الغير المشروعة، من خلال استغلال الضعفاء والتدخل في شؤون الناس حيث سعوا إلى توظيف الدين اليهودي في كل مشاريعهم وشعاراتهم ومن المنطلق أن اليهود أصبحوا يسيطرون على توات فيها بدون رادع يـــردعهم او يوقفهم.

إن نازلة يهود توات مست جميع الجوانب الاجتماعية والفكرية والدينية وحتى السياسية والاقتصادية للإقليم، فهي تعد لحظة فارقة في تاريخ الإقليم لأنهـــا تـــؤرخ بأخطر نازلة ألمت بالمجتمع التواتي.

اختلف العلماء في هدم كنائسهم وإجلائهم من توات وهذا هو هدف المغيلـــي لما رأى تواجدهم بتوات خطر على الإسلام والمسلمين وكان منهم المؤيد والمعارض

للنازلة والخلاف بين الفقهاء في نقض عهدهم كان في الذمي الـــذي خـــل بـــبعض الأحكام.

بعد أن تلقى المغيلي أجوبة العلماء المساندين له اتصف بالجزم فـــي إجـــلاء اليهود من توات، فلم يعر الجوانب الاقتصاديةاهتماما كبيرا بقدر ما أعار الجوانـــب الدينية وهذا ما دفعه إلى الثورة ضد اليهود فقد نجح في ثورته الأولى بطرد اليهـــود من توات.

بعد نجاح ثورته غادر المغيلي إلى بلاد السودان الغربي قصد الدعوة إلى الله عزوجل، فأثناء محاولته إصلاح القيم والأخلاق جاء خبر مقتل ابنه من طرف اليهود وهذا ما أثر في نفسيته الحقد، وقد رحل إلى توات مرة ثانية من اجل طرد اليهـــود لكن لم ينجح هذه المرة بسبب توطأ الدولة الوطاسية.

لقد كان موقف المغيلي من قضية توات لها أبعاد بالغة الأثر على المســـتوى المكاني والزماني فقد أدى إجلائهم بعد الحملة أولى على خلق أزمة اقتصـــادية فـــي المنطقة لكون اليهود هو المحرك الأساسي للتجارة لطبيعة علاقاتهم الخارجية.

هذه الاستنتاجات التي توصلنا إليهـــا مـــن خـــلال إنجازنـــا لهـــذا البحـــث.

الملاحق

ملحق رقم :01

خريطة تبين الموقع الاستراتيجي لمنطقة توات[1]

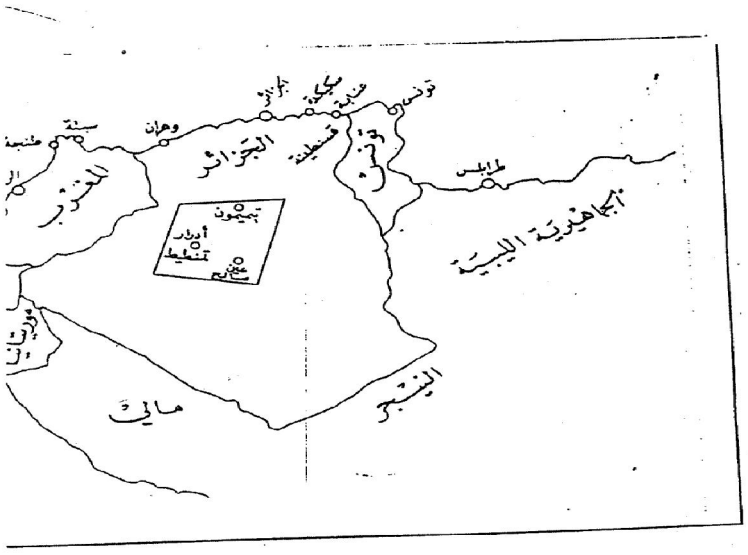

خريطة تبين الموقع الإستراتيجي لمنطقة توات

ملحق رقم:02

[1]_فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص20.

خريطة تبين أهم القصور

التواتية[1]

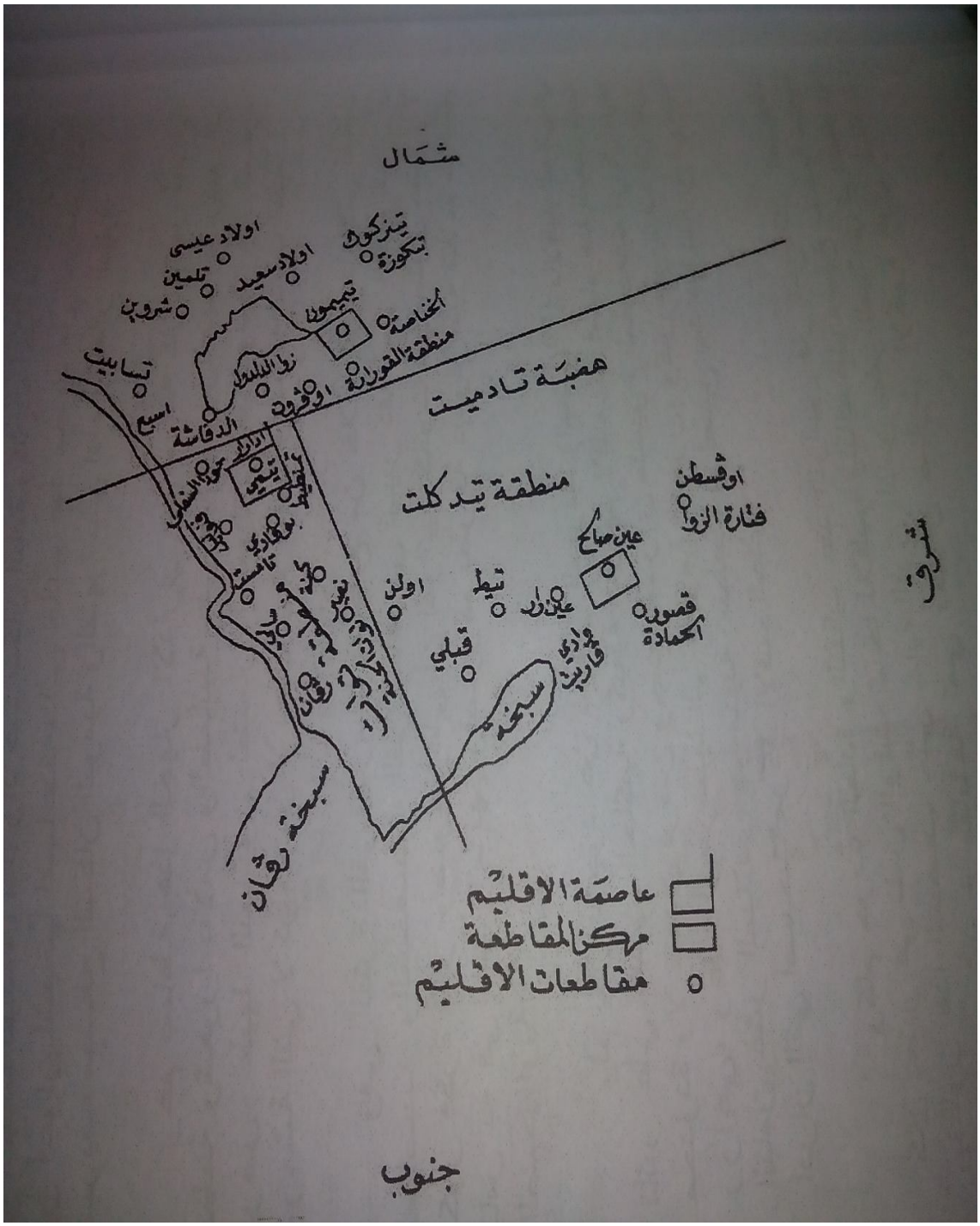

[1]_فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص35.

ملحق رقم :03

خريطة تبين موقع منطقة توات[1]

[1]_فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص16.

ملحق رقم :04

ضريح الشيخ

المغيلي[1]

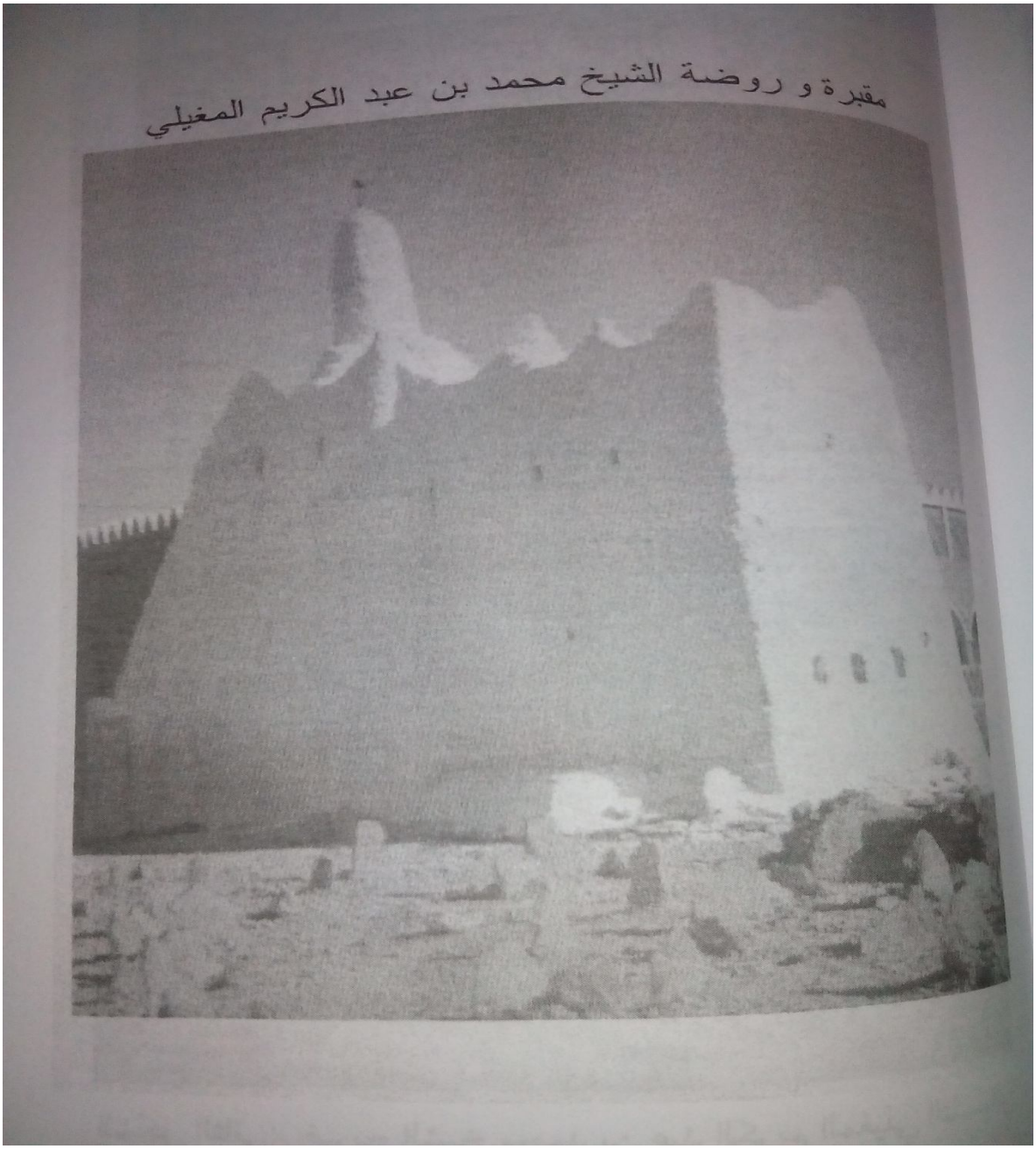

ملحق رقم :05

[1]_خير الدين شترة، المرجع السابق، ص475.

صورة من داخل مقام الضريح[1]

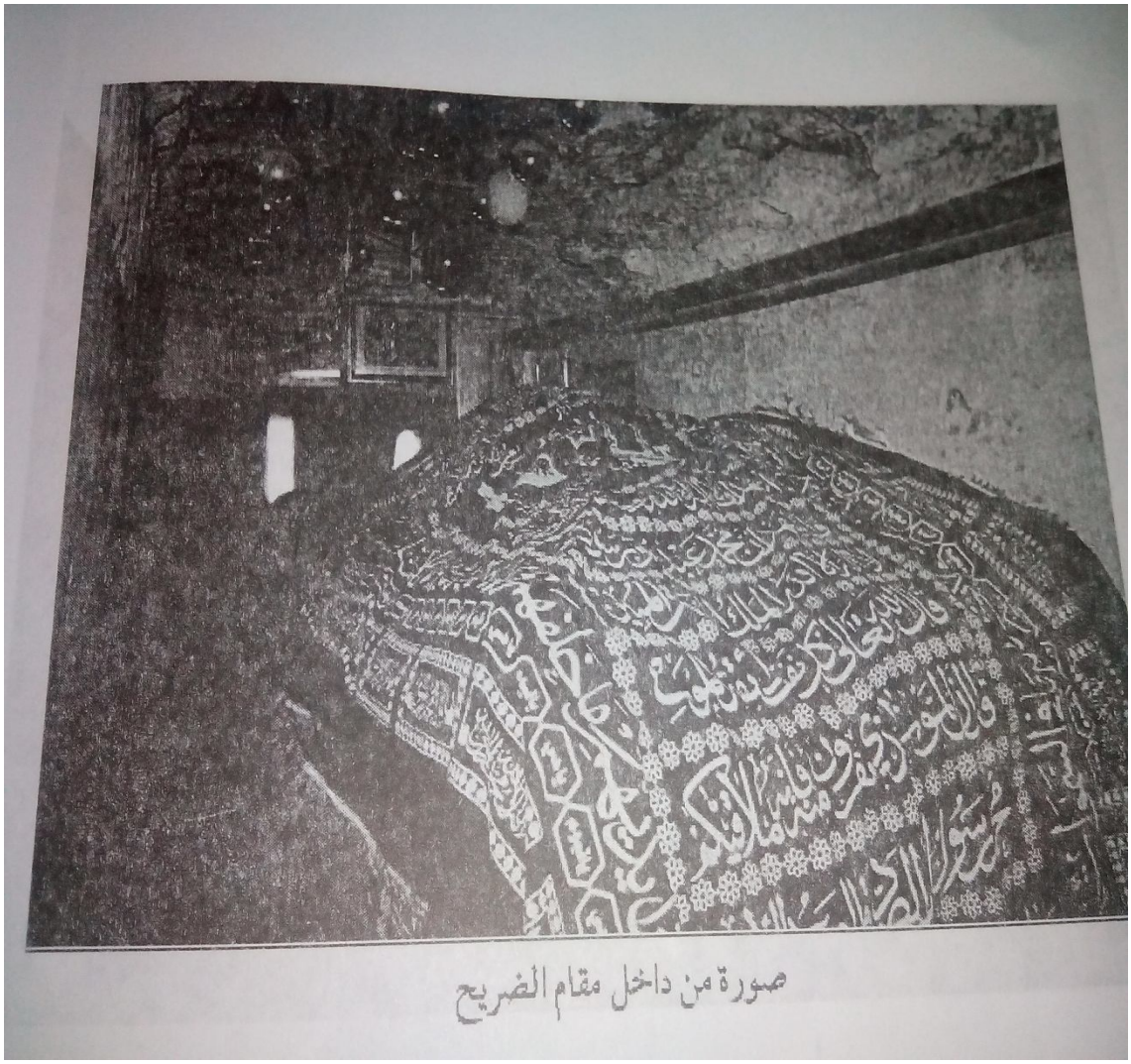
صورة من داخل مقام الضريح

ملحق رقم : 06

[1]_عبد الرحمان حمادو الكتبي، المرجع السابق، ص600.

الباب القديمة لضريح الأمام زاوية الشيخ[1]

[1]_حاج احمد نور الدين، المرجع السابق، ص230.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

_القرآن الكريم

المصادر:

1_ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأصفار، دار صادر، بيروت، ط2، 2001.

2_ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 2000.

3_ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، المقدمة، دار يعرب، دمشق، ط1، 2007.

4_ابن عبد الكريم محمد المغيلي، أضواء في إقليم توات، مؤسسة الجزائر، تلمسان، ط1، 2002.

5_التنبكتي احمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المملكة المغربية، (د.ط)، 2000.

6_التنبكتي احمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، مملكة الثقافة العربية، ط1، 2004.

7_الرصاع محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، تونس، طبعة الحجرية، 1967.

8_الزركشي محمد بن ابراهيم، تاريخ دولتين الموحديةوالحفصية، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.

9_السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، ضوء الأمم لأهالي القرن التاسع، دار الحياة، بيروت، (د.ط.ت).

10_الشفشاوني محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، دار الغرب، الرباط، ط2، 1977.

11_عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار توات، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، ط1، 1985.

12_العياشي ابو سالم، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، مبوعات دار الغرب، المغرب، (د.ط)، 1977.

13_الغزالي ابو حامد، إحياء علوم الدين، دار القلم، بيروت، (د.ط)، 1989.

14_الفضيلي احمد مولاي الإدريسي، البدر البهية والجوهر النبوية، المطبوعات وزارة الأوقاف، الرباط، (د.ط)، 1999.

15_قطش الهادي، اطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، (د.ط)، 2013.

16_المغيلي محمد عبد الكريم، مصباح الأرواح في اصول الفلاح، الجزائر، (د.ط)، 1986.

17_الوزان حسن، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983.

18_الونشريسي ابن عباس احمد بن يحي، المعيار المعرب وجامع المغرب وفتاوى اهل إفريقيا والأندلس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1981.

المراجع:

1_الإدريسي عبد الرحمان حمادى، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، وزارة الثقافة، (د.ط)، 2011.

2_الإدريسي عبد الرحمان حمادى، الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، دار الكتاب الملكي، الجزائر،ط1، 2013.

3_الإدريسي عبد الرحمان الحمادى، قورارة وتوات وما عليه احتوت من الفقاراة الى الساقيات، دار بوسعادة، الجزائر، ط1، 2013.

4_البكري عبد الرحمان، النبذة في تاريخ توات واعلامها من القرن التاسع هجري الى القرن الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، (د.ط)، 2007.

5_بلعالم محمد باي، الرحلة العلمية الى منطقة توات، دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)، 2011.

6_بلعالم محمد باي، قبيلة فلان في الماضي والحاضر، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2004.

7_بليل رشيد، قصور قورارة واوليائها الصالحون في المأثور الشفوي والمناقب والأخبار المحلية، منشورات المركز الوطني، (د.ط)، 2008.

8_بوعزيز يحي، اعلام الفكر الثقافي في الجزائر المحروسة، دار البصائر، (د.ط)، 2009.

9_بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من طلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين، دار البصائر، الجزائر، طبعة خاصة، 2009.

10_بونار رابح، المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى، الجزائر، ط3، 2000.

11_التوهامي مولاي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، المطبعة الحديثة، ادرار، ط1، 2005.

12_الجعفري مبارك بن صافي، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12، دار السبيل، الجزائر، ط1، 2009.

13_الجعفري ابي الصافي، من تاريخ توات ابحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011.

14_الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، 1980.

15_حجي محمد، إفريقيا، مكتبة المعارف، المغرب، (د.ط)، 1989.

16_الحنفاوي ابو قاسم، تعريف الخلف لرجال السلف، مؤسسة الرسالة، تونس، ط2، 1985.

17_حوتية صالح محمد، توات والأزواد، دار الكتاب، الجزائر، (د.ط)، 2007.

18_سعد الله ابو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب، بيروت، (د.ط)، 1998.

19_سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2000.

20_شترة خير الدين، الفكر الإصلاحي والدعوة عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، مؤسسة البلاغ، (د.ط)، 2013.

21_الشنقيطي احمد بن امين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، ط1، 1911.

22_الصديق حاج احمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات منذ القرن 11ه و14م، منشورات مديرية الثقافة، ادرار، ط1، 2003.

23_الصلاجي شمس الدين محمد بن عبد الرحمان، الثمار الزكية للحرة السنوسية في ليبيا، مكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 2001.

24_الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية، الجزائر، (د.ط)، 1983.

25_فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط.ت).

26_مقدم مبروك، الإمام المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، دار الغرب، (د.ط.ت).

27_مقدم مبروك، الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، مؤسسة الجزائر، ط1، 2002.

28_مقدم مبروك، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وآثره الإصلاحي بإمارات إفريقيا الغربية خلال القرن التاسع والعاشر، دار الغرب، ط1، 2002.

29-الميلق عبد القادر، دور محمد بن عبد الكريم المغيلي في مقاومة يهود توات، غرداية، (د.ط)، 2001.

30_ميقا ابو بكر، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من القرن الخامس الى القرن الثاني عشر ميلادي، مكتبة التوبة، الرياض، (د.ط)، 1977.

31_الناصري بن خالد احمد، الأستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1955.

32_نسيب محمد، زوايا والطرق الصوفية، دار البرق، الجزائر، (د.ط)، 2002.

الرسائل الجامعية:

1_احمد يحي أمينة، احمد أمينة مسعود، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في ظهور الحركات الجهادية في غرب إفريقيا، مذكرة ماستر، تاريخ إفريقيا، خميس مليانة، 2010_2015.

2_بعثمان عبد الرحمان، القضاء في منطقة توات من خلال القرنين 17 _18 ، رسالة دكتورة، تاريخ الحضارة الإسلامية، وهران، 2015_2016.

3_بكراوي عبد العزيز، عبد القادر بشري، الشيخ محمد البكري بن عبد الرحمان حياته وآثاره، رسالة ماجستير، تاريخ المغرب المعاصر، ادرار، 2018_2019.

4_بوسعيد احمد، الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن12م و18م، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ المغربي الإجتماعي والثقافي، ادرار، 2011_2012.

5_بوشقيف عائشة، الدور الفكري لعبد الكريم المغيلي في إقليم توات والسودان الغربي، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وعلم الآثار، تلمسان، 2010_2011.

6_حاج احمد نور الدين، المنهج الدعي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها الملوك والأمراء والعلماء، رسالة ماجستير، تخصص الشريعة الإسلامية، جامعة باتنة، 2010.

7_حرمه عبد الله، المصطلحات الأدبية والإقتصادية ومفهومها الحضاري في إقليم توات، تخصص الدراسات الأدبية، الجزائر، 2016_2017.

8_الحمدي احمد، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ وحضارة الإسلامية، وهران، 1999_2000.

9_حوتية محمد، قبيلة كنتة بين إقليم توات والأزواد، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ، الجزائر، 1992.

10_عباس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين التاسع هجري و خامس عشر ميلادي، رسالة ماجستير، تاريخ الوسيط، الجزائر، 2000_2001.

11_عبد المومن بهية، الحياة الإجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18_19، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ والحضارة الإسلامية، وهران، 2005_2006.

12_عمارة قاضي، الفقيه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ودوره في نشر الإسلامي في بلاد السودان الغربي، رسالة ماستر، سعيدة، 2014_2015.

13_العماري احمد، توات في مشروع التوسع الإستعماري الفرنسي في المغرب، رسالة ماجستير، تخصص تاريخ إفريقيا، ادرار، 1958.

مجالات وملتقيات:

1_بعثماني عبد الرحمان، حملة المغيلي على يهود توات وآثاره عل الموقع الحرفي على المنطقة، بشار، العدد4، 2013.

2_البوعبدلي المهدي، أضواء على تاريخ مدينة تمنطيط، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والإعلام، الجزائر، العدد16، 1986.

3_ثياقة الصديق، نمط العمارة القصورية ومراحل الإستيطان البشري بإقلم توات، ملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعة ادرار وتيارت، جامعة ادرار، 2009.

4_حوتية محمد، الموقع الجغرافي والأهمية التاريخية، محاضرة، جامعة ادرار.

5_شبايبي ياسين، إقليم توات خلال القرن التاسع و خامس عشر ميلادي وموقف الشيخ التلمساني من يهوديها، الجلفة، العدد6.

6_محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ادرار، العدد7، 2006.

المداخلات:

1_التواصل الحضاري بين الجزائر وبلاد السودان الإفريقي 16 و20م، يوم 15 و 16 اكتوبر 2017.

2_الإزدهار الإقتصادي والعلمي لإقليم توات وإنعكاساته على التواصل لبلدان الساحل الإفريقي مابين 16 و20.

الموسوعات:

1_بن قاضي احمد، لقط الفوائد من لقاطة حقق الفوائد، موسوعة اعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1996.

2_الفاسي عبد الكبير، تذكرة المحسنين لوفايات الأعيان وحوادث السنين، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د.ط)، 1996.

3_القادري محمد بن الطيب، النشر المثاني لأهل الحادي عشر والثاني، موسوعة أعلام الفكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1996.

4_عفة احمد امين وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 2001.

5_طيب سليمان، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، مصر، ط2، 1997.

باللغة الفرنسية:

1- Depouter .la question du toiatesaharaalgerien .alger .1991

2_Deveors. Le touatetude .jeojraplique et medicale .alher. Lustitutpastzur . 1947

3_eirbeth(M) les juifs de l algerie de la tunirie a lepoqueturue 1516_1830 in revue africaine.

4_Gautier emile.f.lesaharaoranais .paris .a.colin . 1903

5_jacoboliel. Les juifs ou sahara. Le toute ou moyen age cars edution paris. 1994

6- Louis voinot .letidikelt sur la geographielhistoire et les mœurs du pays buiietin de societe de geographie et darcheologie de la provivceaoran .t 29 .1909 .

7-Madevil . g. lalgeriemeridomale et le touat. Paris. 1898.

8-Malte brim .resume historique et geographigie de lexplortion de eserhardrolvs a touate et i bnsalah .paris .1866 .

9-Martin. A-g—p. quotresieclesd histoiremarocaim .150.1904. paris.

10-Reclus elisee .nourellegeograplneumverselle. T.x. lafriqueseptentnoale. Paris. 1886

11-Rottier (R) histoire du sahara nouvelles editionslations .baris ;1947.

12_Victor adolphe malte brum. Resumehutoriqe et geographique de lexploration de gerardrohlfs. Paris. Challamel. 1866

فهرس المحتويات

مقدمة: أ
مدخل: أوضاع توات قبل دخول عبد الكريم المغيلي 7
01 - نبذة تاريخية عن إقليم توات 7
02 - الأوضاع العامة لإقليم توات 12
النشاط السياسي 12
النشاط الاقتصادي 13
جانب الزراعي 13
جانب صناعي 15
جانب تجاري 16
النشاط الاجتماعي 18
النشاط الثقافي 19
الفصل الأول :المغيلي وإقليم توات 24
حياة عبد الكريم المغيلي 24
مولده ونشأته 24
شيوخه 26
تلاميذته 27
مؤلفاته 29
الخلفية الجغرافية والديمغرافية لإقليم توات 32
أصل التسمية 32
الموقع والتقسيم الجغرافي 34
المناخ والتضاريس 40
أصول السكان 45
أوضاع إقليم توات 49

الأوضاع السياسية 49
الأوضاع الاقتصادية 52
الأوضاع الاجتماعية 56
الأوضاع الثقافية 57
الفصل الثاني :الدور الإصلاحي للإمام المغيلي في توات 62
أسباب دخول المغيلي إلى توات 62
دخول المغيلي إلى توات 64
المغيلي في أولاد سعيد 65
المغيلي في تمنطيط 69
2.دور الإمام المغيلي الإصلاحي 70
منهجه التعليمي 71
زاوية عبد الكريم المغيلي 74
دور الزاوية 75
المغيلي ودعوته إلى الإسلام في توات 76
الفصل الثالث: المغيلي وتصديه لليهود في توات 78
اليهود في توات 79
أصل اليهود 79
دخول اليهود إلى توات 81
وضع اليهود في إقليم توات 82
نماذج عن مكر اليهود 84
المبحث الثاني: دور الإمام المغيلي الجهادي 85
نازلة يهود توات 85
ردود العلماء المعارضة للمغيلي 87
ردود العلماء المساندة للمغيلي 91
المبحث الثالث: ثورات المغيلي ضد يهود توات 95

الثورة الأولى	**95**
الثورة الثانية	**98**
خروج اليهود من توات	**100**
نتائج وانعكاسات الثورات	**101**
خاتمة	**105**
ملاحق	**111**
قائمة المصادر والمراجع	**118**
فهرس المحتويات	**130**